

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

DIPL



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*



المسيحية والاسلام

١

هل يجوز للمسلم

ان يعتبر المسيحي مشركاً او كافراً

بقلم

الاب خليل اده البسوعي



المطبعة الكاثوليكية - بيروت

١٩٣٩



هل يجوز للمسلم

أن يعتبر المسيحي مشركاً أو كافراً ؟

لم هذا السؤال وأية فائدة منه ؟ ألا يُخشى أن يثير البحث فيه هواجس قد طال ما اجتهد عقلاؤنا من آية ملة كانوا أن يطفئوا جذوتها حرصاً على السلام والوئام ؟ لا شك أن مثل هذه الأفكار تتبادر إلى ذهن القارئ لدى اطلاعه على عنوان مقالنا . ومع ذلك لا نرى بداً من الجواب على السؤال الذي قدمناه وذكر السبب الذي يبرره .

لا نكسر ان السواد الاعظم من المسلمين — حتى المتعلمين منهم — يعتبرون المسيحي كافراً بل ربما اعتبروه مشركاً لأنه يعتقد بالتثليث . والتثليث الذي ينسبونه إلينا غالباً إنما هو عبارة عن عبادة الباري تعالى واسرائيل المسيح الانسان والعذراء والدته مع الخالق في عبادتنا له . تجد هذه التهمة الشنعاء ^١ في كتبهم ومؤلفاتهم . أفيجوز للمسيحي اذا

(١) حتى في القرآن في سورة « المائدة » ٢٠ و ١٢١

نعم قد زعم بعضهم ان القرآن لم يوجه كلامه إلى المسيحية عموماً بل أراد فقط دحض ضلال شيعة واحدة مرقّت من الدين المسيحي . ولكن لسوء الحظ ليس لهذا الرأي من اساس . فانك لا تجد في تأريخ « الهرطقات » — أي الاضاليل المنافية للإيمان الحقيقي والتي رذلتها الكنيسة — من يقول به . ولك في تأليف القديس يوحنا الدمشقي (المجلّد الاول من اعماله — الفصل في الهرطقات) وهو العلامة الشهير في دمشق († ٧٥٤) والمقرب إلى الخلفاء الامويين والمطلع على احوال المسيحية عموماً وأحوال العرب خصوصاً شهادة بليغة على صحة قولنا . فانه في فصله المعنون

غار على دينه ان يتركها شائعة ولا يحاول ان يبين بطلانها ؟ لا لعمرى .
 لن يرضى شرفه بذلك ولا حب الحق . بل ولا صالح اخواننا المسلمين
 انفسهم . فانه يهتهم كما يهتئنا - فضلاً عن معرفة الحق - جمع كلمتنا
 للسعي وراء خير الوطن . والحال انهم اذا اعتبرونا مشركين يستنكفون
 من مصافحتنا ومدّ يدهم الينا ليشتركوا معنا في العمل اذ انهم نشأوا على
 فكرة المقاومة للشرك حتى بالسلاح والقتال فالمصلحة العامة تقتضي منا
 تبديد هذه الاوهام الساطية على عقول الاكثرية منهم .

ولقد كان هذا المسعى ضرباً من المحال في عهد السلطنة العثمانية اذ
 لم يكن للمسيحي الحرية الدينية التامة اللازمة للدفاع عن مبادئه . امّا
 الآن وقد اُطلقت له الحرية فلا يبقى له عذر في السكوت عن تهمة باطلة
 تشينه وتضرر كما قلنا بالاتحاد بين جميع عناصر الامة لخير الوطن .

وليس مرادنا الآن - كما أمكنك استدراكه ممّا قدّمناه - المجادلة
 او إقامة البرهان على صحة الوحي الذي نسند اليه الحقائق التي نوّمن بها
 فاننا نؤجل ذلك الى مقالة اخرى ان شاء الله . انما غرضنا واحد الآن
 وهو ان نبين ما هو معتقدنا بالتليث ثم بسيدنا يسوع المسيح ونجده .

وبعمله الذي نسمّيه سر الفمراء . ليرى كل عاقل منصف ان ليس فيه

« الهرطقة » أنشأ لائحة ذكر فيها كل الاضاليل والشيع المسيحية منذ الجيل الاول
 وعددها ٢٠٣ فليس فيها قط هرطقة ولا شيع ادعت ان الثالوث الاقدس عبارة
 عن الله عز وجل والمسيح الانسان ومريم أمه . كما نقل التهانوي في كتابه
 « اصطلاحات الفنون » في مادة « النصارى » عن « الانسان الكامل » في باب
 « التوراة » . فتأمل .

مطلقاً ما يناقض حقيقة التوحيد وباقي مقتضيات العقل السليم — وان كان
 يفوق قواه الطبيعية — فيتضح لكل محب للحق — بشرط ان يكون
 له بعض الامام بالعلوم الفلسفية — انه لا يجوز له ان يلصق بنا وصمة
 الشرك او الكفر . بل سيري من مجرد عرض الحقائق التي نوّمن بها
 سموها وجمالها ممّا يحمل ذوي التبصر في الامور على الاقرار انها ليست من
 اختراعات البشر ولا بدّ لادراك حقائق معتقدنا من بعض مقدّمات فلسفية
 نأتي بها بنا امكن من اليجاز .

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

DUPL>



32101 022130171



١

مقدّمات

في العلم والايمان

ان لمعرفة الحقيقة طريقتين :

الاولى ان يرى الانسان بعينه — بعين العقل — نور الحقيقة سواء أضاءت له بديهياً كما تضيء الشمس للعين الباصرة ام بعد البحث فقط والاستعانة بالحجج والبراهين . هكذا أعرف **بنزائي** وبديهياً ان « اثنين واثنين اربعة » لاني ارى هذه الحقيقة بعين العقل كما ارى الشمس بعين الجسد . وكذلك اعرف **بنزائي** — إن كنت من ارباب العلوم الهندسية — ولكن بعد اقامة البرهان القضايا الهندسية مثلاً ان مجموع زوايا المثلث يساوي زاويتين مستقيمتين .

الطريقة الثانية ان لا يرى الانسان بعينه حقيقة الشيء ولكن بعين آخر رآها هو وأعلمني بها فقبلتها بكل تأكيد وارتياح بعد ان تحققت ان **قائلها عالم** بها حق العلم وصادق في نقلها الي . ولا أحجم عن التسليم بصحتها وان كنت لا افهمها تام الفهم فانه يكفيني حتى اكون

على هدى علم الفأل وصدق الناق . بهذه الطريقة يتوَّصل الأُميون
والجهال — بل العلماء ايضاً خارجاً عن دائرة علومهم الاختصاصية — الى
معرفة حقائق كثيرة يقبلونها وان كانوا عاجزين عن بيان صحتها وشرح
كيفيتها . هكذا يعرفون مثلاً ان الاصوات والصور تُنقل الينا بواسطة
أشعة الراديو وليس بإمكانهم ان يفهموا ما هي هذه الأشعة ولا كيف
تتولد وتعمل عملها .

فالطريقة الاولى هي طريقة العلم . والثانية هي طريقة التصديق .
ومنها الإيمان .

وكلتا الطريقتين تبلغنا معرفة الحق وكتاتهما ضروريتان لحياتنا العقلية
والادبية والاجتماعية الحاضرة .

...

الإيمان هو إذن تصديق . وأي نوع من التصديق هو ؟

هو تصديق لكلام الله اي لحقائق أوحاها الله وبلغنا اياها بواسطة
شهود أثبات نسميهم أنبياء أو رسال .

من البديهي ان الله يستطيع ان يكلم مخلوقاته وهو القادر على كل
شيء . وانه لا يكلم كل واحد منهم . فاذا أراد ان يعرفهم حقائق لا
يتوَّصلون الى معرفتها بنور العقل الطبيعي والبحث العلمي انتدب عادةً
رجالاً ممتازين بفضائلهم وقداستهم وعرفهم ما يريد ان يكشف لنا من
الحقائق ليبلغونا اياها . هذا ما نراه في تاريخ العهد القديم .

وكيف نتحقق ان هؤلاء المبعوثين من الله لم ينخدعوا ولم يخدعونا

باقوالهم ؟ اننا نتأكد ان الانبياء او الرسل شهود صدق على الله لم ينجدوا ولا ينجدون **اولا** : برؤيا **فراستهم** الفائقة لان الله لا يقرب اليه احدا حتى يسلمه اسراره ويرسله برسالة خصوصية الى عبده الامن كان ممتازا بفضائله السامية . **وامانياً** : بمشاهدة **المعجزات** التي يأتيها هؤلاء الرسل لاثبات رسالتهم والتي تفوق كل قوى الخلاق بشرية كانت ام ملائكية . فالمعجزة اذا هي كختم الباري عز وجل على صك الوحي . ولا يجوز للعقل ان يصدق من يدعي انه منتدب من قبل الله ان لم ير ختم الله اي المعجزة على صك الانتداب . هذا مثلاً السيد المسيح . قد اراد ان يثبت دعوته لجهاهير اليهود الذين كانوا واقفين امام قبر لعازر وكان لعازر قد مات من اربعة ايام ودُفن وأنتم (يوحنا ١١ : ٤١ الخ) فجاء الى القبر وقال :

« يا ابنت اشكري لانك سمعت لي وقد علمت انك تسمع لي في كل حين . لكن قلت هذا لاجل هذا الجمع الواقف حولي **لبؤصوا انك انت ارسلني** . ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : يا لعازر هلم خارجاً . فخرج الميت ويده ورجلاه مربوطات بلفائف ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع : حلوه ودعوه يذهب : فآمن به كثير من اليهود^(١) الذين جاؤوا الى مريم (اخت لعازر) ورأوا ما صنع » .

(١) لا كلهم لان كثيرين كانوا من اتباع الفريسيين اعداء يسوع يصمّون الآذان عن سماع الحق . والايمان عمل متعلق بجرية الانسان فهو - بعد ان يرى شهادة الحق - يبقى قادراً على رفض التصديق ولو توفرت الشواهد المثبتة علم الناقل وصدقه . هذا ما تتحققه كل يوم .

« آمن بالمسيح كثيرون » فهل أصابوا بعملهم هذا ؟ بلا شك . لأنهم رأوا معجزة تفوق قوى كل المخلوقات معاً فتيقنوا ان يد الله صنعتها . وتأكدوا ان المسيح الذي أبدى هذه الآية واستشهد بها ليثبت رسالته هو حقيقة من الله . فاذا كان المسيح مرسلًا من قِبَل الله ليعلمنا سبل الخلاص وجب علينا ان نصرفه عندما ييوح بالحقائق التي تسلمها من مرسله كما نصدق كلام الله عينه . اعني ان نُؤمن به وباقوال الله التي يبلغنا اياها .

وهذا الالتزام لا يتناول فقط الذين شهدوا قيامة لعازر من الأموات بل الذين سمعوا بها ايضاً اذا ما تحققوا صحّة وقوع هذا الحادث العجيب كما يتحققون صحة باقي الحوادث الواقعة بعيداً عنهم اي بفحص المستندات التاريخية الصادقة التي تصل اليهم . فاذا ثبت لديهم صحّة المعجزة هذه لزمهم ان يؤمنوا بالمسيح الذي صنعها وبالكلام الذي يأتيهم به من قبل الله .

هذا هو الايمان . هو تصديق لكلام تأكدنا انه كلام الله وقبلناه لا لأنه مطابق للمبادئ العلمية والاصول المنطقية — وان لم يكن مخالفاً لها — بل لان الله الذي قاله هو الحق بالذات لا يغلط ولا يغالط^١ . وعليه اذا كنا لا نفهمه تماماً فليس هذا داعياً البتة لرفضه والألحقنا بالباري تعالى اهانة لا تُطاق اذ اننا بامتناعنا عن الخضوع لتعليمه المقدس ننسب

(١) ولذلك يكون فعل الايمان فعل اكرام لله عزّ وجلّ لانه اعتراف بعلمه تعالى وصدقه الغير المتناهين

اليه ضرورةً أمّا الجهل وأمّا الغشّ وكلاهما كفر ظاهر لا يُغتفر .

هذه حقيقة اغفلها بعض من يؤمن بالله مثل المرحوم محمد عبده^(١) ومحمد حسين^(٢) وغيرهما من علماء الاسلام فانهم لا يريدون ان يقبلوا الوحي الا اذا ظهرت لهم حقيقة الشيء الموحى به منطقياً . فلا يميزون بين الطريقتين المعقولتين اللتين وصفناهما ويخلطون بين المعرفة بالادمان او التصديق والمعرفة بالعلم وهذا ضلال مبين ضلال « العقلين » (rationalistes) . ضلال وخيم لانه اهانة فظيعة للباري تعالى فضلاً عن انه منافٍ للاصول العقلية نفسها وهي توجب على العاقل ان يصدر كلام انسان ثبت له انه عالم وصادق وان كان لا يفهم مقاله تمام الفهم . ثم ان أتباع هذه الفلسفة الغير معقولة — وعدد هم يتناقص يوماً فيوماً لان كثيراً منهم تهوي بهم فلسفتهم الى لجة الاحاد والكفر — ينسون ان العقل البشري محمودة والله هو الحق الغير المتناهي فكيف يستطيع عقل محمودة ان يتصور الجوهر الالهي الذي لا هم له ويحيط به علماء من كل جانب ؟ هذا ضرب من الجنون . حتى في الامور الطبيعية كم وكمن الحقائق لا نفهمها مع اننا نسلّم بها بلا تردد ! هل تعرف عالماً كبيراً عرف مثلاً ما هي الحياة بذاتها ! انه لا يدرك الا مفاعيلها ومظاهرها فيسلّم بحقيقتها ولا يعرف جوهرها .

(١) راجع « الاسلام والنصرانية » وجه ٢٧ — مطبعة المنار بمصر

(٢) « حياة محمد » ص د من تقديم الكتاب

ولعلّ ضلال كثيرين منهم متأتّ عن انهم لا يميّزون بين ما هو
ضدّ العقل وما هو **فوق العقل** . فما هو **ضدّ العقل** هو فاسد باطل لا
يجوز قبوله والعمل به وحاشا الله ان يأمرنا بتصديق ما هو مخالف للعقل .
فاذا عرضت على انسان قضية ما **مضادة** للحقائق الطبيعية او المنطقية
الراهنة يجب عليه ان يرفضها للحال ولا يلتفت الى الحجج الواهنة التي يحاولون
ان يثبتوا بها صدق قائلها وعلمه لانها فاسدة لا ريب في فسادها . ولكن
لا يجوز مثل هذا القول اذا كانت القضية **فوق** مقدرة عقولنا القاصرة .
فهذه يجب قبولها **بعدم** فحص **المستندات** المثبتة ان قائلها **عالم وصادق** .
وهذه طريقة الايمان بالنظر الى ما يفوق ادراك العقل المخلوق .

ليس مرادنا ان مثل هذه القضية الفائقة حدّ عقولنا البشرية لا تُفهم
بتاتاً . انما المعنى ان الكلام **مفهوم** — اذ ان الله لا يتكلّم حتى لا
يُفهم — غير ان العقل البشري لا يدرك **كيفية** الحقيقة الموحاة . مثال ذلك
سرّ التثليث الذي يعلمنا اياه **الانجيل المسيحي** . اننا نفهم جيّداً معناه
وهو ان الله **واحد** بجوهره الالهي وان هذا الجوهر الوحيد هو في ثلاثة
اشخاص او اقانيم وليس في ذلك تناقض البتة كما سنشرحه — غير اننا
عاجزون عن ادراك **كيفية** هذا الامر أي كيف **ثلاثة** اشخاص متميّزين
الواحد عن الآخر جوهر **واحد** . هذا ما نسمّيه **السرّ** .

ولا لأحد ان يقول : انا لا أسلمّ ألا بما ادرك حقيقته **وكيفيته** . اذا

ليكوننَّ ممَّن يكذبون بأعمالهم ما تنطق به السنتهم . فمعظم معلوماتهم التي يلتذون بها ويعملون بموجبها لا يستطيعون بيان كيفيتها . يستعملون مثلاً التلغراف والتلفون والراديو وهل في وسعهم — ألا النزر القليل منهم — ان يشرحوا كيف تنقل كلامهم ؟ وكَم من الاسرار في الطبيعة يعجز العلماء انفسهم عن شرحها . اسمع ما صرَّح به واحد من أعظم علماء عصرنا « مار كوني » الشهير لاحد الصحفيين الانكليز :

« العلم وحده لا يقدر ان يفسر اموراً عديدة : ما نحن ؟ من اين أتينا ؟ كيف ندخل في الحياة ؟ من يوم أخذ الانسان يعالج هذه المسائل ويحاول ان يسبر غورها لم يتوفق الى ايجاد حل مرضي لها » .

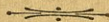
فليس اذاً من المعقول ان يأبى الانسان التسليم بما يعجز عن شرحه .
حسبه ان يثبت علم فائمه وصرفه .

ولا بدّ من التنبيه انه ليست كل قضايا ايماننا تفوق ادراك العقل البشري فان هناك جملة حقائق يتوصل الى معرفتها بقواه الطبيعية كوجود الله وصفاته الحسنة الخ . وقد أوحاها الله مع ذلك . فاذا قبلناها اجلاً لأصدق موحياها الالهي وعلمه الغير المتناهي كان ذلك فعل إيمانه ممّا بكلام الله .

وامّا التثليث والتجسد والفداء فهي حقائق تفوق مقدرة العقول البشرية فلا يمكننا التوصل الى معرفتها إلا بالوحي وكذلك يعجز من يريد إنكارها عن بيان فسادها بالبرهان العقلي . وقد أوحاها الله — كما سنبيته ان شاء الله — ألا أننا نكتفي الآن بان نشرح حقيقتها ونبين ان ليس

فيها اثر البتة للتناقض او مخالفة الحقائق الطبيعية الساهرة^(١).

(١) يحسن بنا ان ننبه القارئ ولا سيما المسلم ان الله لا يوحى عادة الالفاظ التي تعبر عن المعاني التي يقصد تبليغها. فقد يفعل ذلك مراراً ولكنه في الغالب يفهم النبي مراده ويترك له طريقة التعبير بحسب اصطلاحات لغته وعصره ساهراً فقط. حتى لا يأتي بكلام يغير المعاني الموحاة. ولذلك نجد بين الانبياء من هم في اعلى طبقة من البلاغة مثل اشعيا ومن هم غرباء عن أساليب الكلام الفصيح مثل عاموس وكلاهما ينقل اليينا الوحي الالهي. وينتج ايضاً ممّا قلناه انه يجب علينا الآن اذا اردنا ان نفهم كلام الله ان نعتبر مغزى الالفاظ لا بحسب اصطلاحنا العصري لكن بحسب اصطلاح عصر النبي الناقل للوحي



في سر الثالوث الاقدس

(التثليث)

نؤمن اولاً ان الله واحد فقط .
روح محض كان دائماً ولن يزال ابداً .
لا حدّ لكماله . قادر على كل شيء . خالق السماوات والارض وما فيها .
ربّ الكل ومدبّر الكون بعنايته الصمدانية والديان العادل الذي
سوف يجازي كل انسان بحسب أعماله .
هذا ما نؤمن به اولاً . وقد ملأت صفحات الكتب المنزلة اقوال
الانبياء الموضحة من قبل الله لهذه الصفات الالهية .
هذا ايضاً ما يتوصل العقل السليم الى معرفته بالبراهين العقلية . وقد
تسابق الفلاسفة في هذا الميدان من عهد الاقدمين قبل المسيح الى ايامنا .
ولكنهم كثيراً ما خلطوا بين الغث والسمين . ذلك لان العقل البشري
الضعيف يترنح عندما يسمو الى تلك الابحاث العالية التي يكاد موضوعها
يفوق ادراكه فيقع في اضاليل عديدة ولذلك كان الوحي لهذه الحقائق
الجوهرية ضرورياً لنعرفها بدقة وتأكيده وبلا مزيج ضلال . ولم يتأخر
الباري تعالى عن تعريفها بانبيائه كما قلنا .
نؤمن ثانياً — وهنا السر الغامض الذي تقصر عقولنا عن ان تحيط
علماً به فأوحى الله به — ان هذا الاله الواحد هو بثلاثة « اقانيم » أو

أشخاص^١ متساوية ومتميزة مع ذلك : « آب^٢ وابن وروح قدس » .
ولفهم هذه الحقيقة — اي المعنى المراد بها لا كيفيتها التي لا تدرك — لا بد من التمييز بين « الطبيعة » او « الجوهر » من جهة و « الاقنوم » او « الشخص » من جهة أخرى ليتضح لك ان الطبيعة ليست « الاقنوم » وان ليس تناقض بين وحدة الجوهر وتثليث الاقنوم .

. . .

عندما اقول : « انا رجل . انت انسان . هو حيوان ناطق الخ فعلام يدلّ الضمير انا . انت . هو ؟ يدلّ بلا شك على شخص او « اقنوم » . والخبر الذي أسند الى الضمير اي رجل . انسان . حيوان ناطق ؟ انه يدل على طبيعة ذاك الشخص او الاقنوم ويفيد ان هذه الطبيعة ليست طبيعة ملاك روحاني ولا طبيعة بهيمية عجماء بل طبيعة بشرية . فتري حالاً من هذا التحليل البسيط ان الطبيعة ليست الشخص بتمامه بل ان بينهما لفرقاً جوهرياً .

وفي الواقع ليس مفاد الضمير « انا » — وكذا قلّ عن الضميرين « انت » و « هو » وما شاكلهما — هو هو بعينه مفاد لفظة « رجل » والّا لما أفاد التعبير المعنى المقصود وهو تعريف طبيعة الشخص المدلول عليه بالضمير « انا » . بل كان تحريره : « انا هو انا » او « رجل هو رجل » ألخ وليس هذا المراد من الجملة : « انا رجل » . والصحيح ان

(١) نستعمل لفظة « شخص » بمعناها المصطلح عليه في اللغة الدارجة فنخصّصها بالعاقل مع انها في اللغة الفصحى تُطلق على غير العاقل ايضاً
(٢) قد اعتدنا في اصطلاحنا المسيحي ان نسمي الاقنوم الاول او الآب « الآب » بمد الحزرة

مدلول الضمير « انا » اعمّ وأوسع حملاً من مدلول الخبر « رجل »
ولذلك أفادت الجملة معنى تاماً وهو ان هذا الفاعل بذاته والمشار اليه
بلفظة « انا » له من جملة صفاته صفة جوهرية او طبيعية مدلول عليها بلفظة
« الرجل » التي تُسند اليه . فترى ان الطبيعة ليست هي الاقنوم بالذات
بل تتميز عنه .

وهذا التمييز يتضح لك اذا اعتبرت ان الأفعال الصادرة عن القوى
الطبيعية تُنسب الى الشخص او الاقنوم . فعند ما اقول : انا جئت . انا
تكلمت . انا جائع . انا فاك . انا متوجع الخ فالمجيء والتكلم والجوع
والفكر والتوجع الخ كل ذلك صادر عن شتى قواي الطبيعية ومع ذلك
لا يُنسب إلا لشخصي ممّا يبين لك ان « الشخص » هو صاعب

« الطبيعة » وقواها المختلفة . فالشخص اذن هو المالك والطبيعة هي
المملوك فالشخص اذن غير الطبيعة اذ المالك غير المملوك وان لم
يكن الشخص بلا طبيعة ولا الطبيعة بلا شخص تختص به

ويزيدك بياناً لهذه الحقيقة ملاحظة اخرى وهي ان طبيعتي مثلاً
تتغير تغيراً عرضياً . فان قواها الطبيعية تتطور . تتقوى او تضعف . تنمو
او تنقص وكذلك افعالها . واما شخصي المدلول عليه بلفظة « أنا » فهو
باق دائماً هو هو ومسؤول دائماً عن كل اعماله الاختيارية . فشخصيتي اذن
ثابتة مع كل التغيرات العرضية الطارئة على طبيعتي . فالشخص اذن غير
الطبيعة .

وان التمييز بين هذين المبدئين الاساسيين يدركه حتى صغار الاولاد

عندما نفتر لهم سرّ الثالوث الاقدس ويفهمون ان الطبيعة ليست الاقنوم .
 اما المميزات بين الشخص وطبيعته فتلك مسألة فلسفية صعبة جداً
 ولا حاجة الى مجتها . كفانا ان نعرف ان الطبيعة ليست هي الشخص بذاته
 وان الشخص هو « كل » مستقل بوجوده عن غيره وقائم في ذاته
 وان الطبيعة من حيثياته .

ولنطبق الآن هذه الاصول الفلسفية على معتقدنا بالثالوث الاقدس .

قلنا ان الله واحد بملوته اقانيم . ونقول ذلك لا بقوة البراهين
 العقلية الطبيعية — فانها لا عمل لها في بيان هذه الحقيقة الفائقة ادراك العقل
 البشري — ولكن أخذاً عن تعليم السيد المسيح الذي وصل الينا بواسطة
 الرسل . والمراد بهذا القول ان 'الجوهر' 'الالهى' — أو الطبيعة الالهية
 — هو واحد وهو بكمليته وكماله في ثلاثة اقانيم او اشخاص آب وابن
 وروح قدس متساوين ومع ذلك متميزين كل واحد عن الآخر . فاذا طبقنا

(١) مفاد الجوهر والطبيعة واحد الا ان لفظة « جوهر » تشير الى ان مدلولها
 قائم بذاته وحامل الأعراض . ولفظة « طبيعة » ان هذا القائم بذاته مصدر افعاله
 ثم لا بد من التنبيه هنا ان الالفاظ التي نستعملها للدلالة على الأشياء المخلوقة
 وصفاتها يجب تحويلها عند ما نطلقها على ما تماثله من الصفات الالهية . اعني انه يجب
 ان ننفي عن مؤداها كل ما تفيد من النقص . فالجوهر مثلاً يفيد معنى القيام بذاته
 مع الاشارة الى اعراض يحملها وتكمّله . فعندما نطلق هذه الكلمة على الله لا نريد
 بها الا المعنى الاول وتنفي كل اشارة الى الاعراض ووجودها اذ ليس في الله من
 عرض ولا تركيب . ولا عجب من هذا التعديل الواجب للمعاني لانه لا يمكناً ان
 نتكلّم عن الله الا باستعارة اساليب كلام نستخرجها من تصوراتنا للمخلوقات .
 وشأن بين المخلوق « المحدود » والخالق الذي « لا حد له »

الاصول الفلسفية التي شرحناها اتضح لنا حالاً ما يلي :

١ ليس في قضيتنا هذا تناقض البتة كما لو قلنا : « واحد هو ثلاثة » . لان الاقنوم غير الطبيعة كما يتينا . فلا ينجم حتماً عن تعدد الاقانيم تعدد الطبيعة . فتبقى هذه واحدة والاقانيم التي لهم هذه الطبيعة الالهية ثلاثة . ولكن كيف يمكن ذلك ؟ هنا السر . ولم نكن لنقول به لو لم يبيح به عز وجل . هو سر حياته الغير المتناهية والعاجز عقلنا المحدود ان يحصرها فليس له الا ان يعتقد حقيقتها اذا ثبت له ان الله أوحاها .

٢ ليس الآب والابن والروح القدس ثلاثة آلهة بما ان لهم طبيعة الهية واحدة . لان القول بثلاثة آلهة عبارة عن القول بثلاث طبائع الربوبية مختلفة . كما ان المراد بقولنا ثلاثة رجال مثلاً او ثلاث نساء هو ثلاث طبائع بشرية مختلفة . ونحن لا نعتقد الا بطبيعة واحدة الهية قائمة في كل من الاقانيم الثلاثة .

٣ غير ان مسألة جوهرية تنشأ حالاً من هذا القول وهي هذه : لا يمكن ان يكون الحاصلون على الطبيعة الالهية ثلاثة الا اذا كان لكل منهم ما يميزه عن الاثنين الآخرين والا كانوا ضرورة شخصاً واحداً كما انهم طبيعة واحدة . ويجب ان لا يجعل المميز طبيعتهم مختلفة والا تعددت فيصبحون ثلاثة آلهة وهو الشرك بعينه . فلا بد اذاً من ان يكون المميز حقيقياً حتى تكون الاقانيم ثلاثة ولا يمس الطبيعة حتى تبقى واحدة . فما هو هذا المميز ؟

نعرف من الوحي — او بالاقول نستنتج منه — ان المميز بين الاقانيم
 انما هو نسبي او اضافي كنسبة الابن الى أبيه مثلاً او الاب الى ابنه .
 وكنسبة المحب الى محبوبه والمحبوب الى محبه . فلا فرق بين الاقانيم الا
 ان « الاقنوم الثاني » واسمه « الابن » هو من « الآب » اي من « الاقنوم
 الاول » . و « الاقنوم الثالث » هو من الآب والابن . او — كما يقول
 كثيرون من الآباء اليونان — هو من الآب بالذاته . اما الاقنوم الاول
 الآب فليس من أحد . فبهذا وبهذا فقط يتميز الاقانيم الثلاثة . وهذا
 التميز هو نسبي كما ترى .

وهو حقيقي اذ لا يمكن ان يكون الصادر والصادر منه شخصاً
 واحداً . فانهما متقابلان . وهذا التميز هو جوهرى لانه في حياة الله نفسها .
 ولا يغير شيئاً مع ذلك في طبيعة الله لانه نسبي والنسبة في الله لا تريد
 شيئاً على كيان الطبيعة الالهية المطلق كما هو شأنها في المخلوقات فانها تريد فيها
 عرضاً على الجوهر به توهمه الى غيره . اما جوهر الله فهو غير متناهي . فيه كل
 الكمالات المطلقة والاضافية . فوجه الآب الى الابن او وجهة الابن الى
 الآب ووجه الآب والابن الى الروح القدس او وجهة الروح القدس الى
 الآب والابن تجعل الصادر والصادر منه متقابلين متميزين ليس الا . وهي
 في الجوهر الالهى الكلى الكمال ولا تمايز عليه .

« بقي علينا ان نشرح لماذا الاشخاص الالهية الثلاثة تُسمّى » آب وابن وروح قدس ».

(١) ان الله كما يقول الفلاسفة — فعل ^(١) محض واعمر بسيط أي لا تركيب فيه وغاية في البساطة . لكي الكمال . يعرف ذاته وكل شيء ممكن . وبمعرفة هذه الازلية يلد « كلمته » كما يلد العقل فكرته

(١) يكفي لفهم هذا الاصطلاح الفلسفي ان نتأمل المقابلة الآتية بيننا وبين الله : قبل ان اكون انا كنت من الممكنات أو — بكلام آخر مستعار من المبادئ الفلسفية الحقّة — كنت في حيّز « القوّة » او الإمكان . فلماً برزت الى الوجود صرت في حيّز « الفعل » . أمّا الله فهو « فعل » أزلي اي ان وجوده وكل كمالاته الغير المتناهية لها كيان دائم فعلاً لا ينتقل أبداً من حيّز القوّة الى حيّز الفعل مثل المخلوقات .

كذلك قبل ان افكر بشيء لي قوّة التفكير وهذه القوّة ساكنة كأنها نائمة — لانها ناقصة — لا تعمل حتى اذا حرّكتها عوامل أخرى خرجت من حيّز القوّة الى حيّز الفعل . وأمّا الله فهو فاعكراً فعلاً منذ الأزل . بل فكره واحد يدرك به كل ما يُدرك .

وما اقولُه عن الفكر اقولُه عن عمل إرادتي . اني مُريد أو محبّ بالقوّة ثم أصبح مريداً او محبباً بالفعل فانتقل اذاً من حيّز القوّة الى حيّز الفعل . وأمّا الله فليس كذلك فانه مريد دائماً بالفعل منذ الاول وليس في ارادته انتقال من القوّة الى الفعل . وكذا قل عن باقي الصفات والافعال . فهذه كلها موجودة منذ الازل في الله ولذلك نقول : ان الله « فعل محض » .

ونقول ايضاً انه « بسيط » اي لا تركيب فيه (البته . في المخلوقات وأسماها تتعدّد الصفات ولكل منها عمل خاص لا تتعدّاه الى آخر . فالشدّة مثلاً غير اللين والرحمة غير العدل وهلمّ جرّاً . ومن ائتلاف هذه الصفات يحصل التركيب وتُنفى البساطة . وأمّا الله فهو فعل محض واحد . وهذا الفعل الواحد هو بمثابة كل الكمالات الممكن ان تكون فعلاً . فهو اذاً في غاية البساطة لا تركيب فيه مطلقاً .

اي الكلمة الباطنية . فانه اذا كلمته وهو صورة أبيه بكلماتها كما ان
الفكرة البشرية هي صورة الشيء المعقول . وهذه الصورة الكاملة الالهية
مستقلة بذاتها . فهي اقنوم او شخص غير الذي ولده . بيد ان افكار
البشر اعراض زائلة غير قائمة بذاتها . وهنا السر الذي لا يستطيع عقل
بشري ان يسمو الى معرفته الا اذا اوحاه الله .

ب) الله فعل محض واحد بسيط كلي الكمال . وهذا الفعل الغير
المتناهي كما لا ليس معرفته فقط انما هو ايضاً محبة لا حد لكلماتها .
يحب الله الآب « كلمته » ابنه الذي فيه تتجلى صورته بتمامها وجمالها
الغير المتناهي كما ان ابنه يحبه وكل شيء محبوب . وبفعل هذا الحب
الواحد الصادر منهما « ينفخ » كلاهما بنفحة واحدة روحهما القدوس
والكلي الكمال مثلها . لانه « يأخذ مما لها » فينبثق منهما كما ينبثق الحب
البشري من ارادة الانسان بواسطة الفكرة . غير ان هذا الروح القدوس
ليس كنفحة الحب البشري عرضاً روحانياً يزول . انما هو اقنوم ثالث متميز
عن الآب والابن وله جوهر الآب والابن بالذات . وهنا ايضاً السر السامي
الذي لم تحتلقه عقولنا الضعيفة بل اوحاه الله الينا ^(١) .

(١) لماذا لا يسمى الروح القدس « ابن الله » ؟

لان الروح القدس يصدر كما مر بك صدور فعل المحبة من الارادة .
فهذا الفعل لا يصدر بطريقة « الشبه » في الارادة للشيء المحبوب بل بطريقة
« الميل » او « الباعث » فيها الى المحبوب . وعليه لا يجوز ان نسميه « ابن »
الارادة لان الابن يحتوي صدره على « الشبه » بينه وبين والده ولا محل لهذا
« الشبه » في فعل الحب الصادر من الارادة .

ج) وهذا الفعل المحض الغير المتناهي بكماله الذي به يلد الآب ابنه وينفخ كلاهما^{١)} روحهما القدوس هو بذاته فعل وجود الله الازلي الذي لا حد لعظمته وقدرته وكمالاته . وعليه ليس في فعل صدور الابن وصدور الروح القدس لا اول ولا مآله . لا قبل ولا بعد . لان هذا الفعل واحد ولا يختلف بمجوسه عن فعل الوجود الواحد .

ولا يظنُّ احد ان للآب من جرّاء ذلك على الابن والروح القدس او للابن على الروح القدس « أفضليّة » ما تنفي كل مساواة بين الاقانيم الثلاثة لان ولادة الآب لابنه « كلمته » ونفخ الآب والابن لروح محبتهم من ضرورة الحياة الالهية التي هي فهم ومحبّة . فلا يمكن ان نتصور الآب بلا الابن والروح القدس لان فعل وجوده هو فعل اصداره الابن والروح القدس .

وامّا اعمال الله الخارجية كخلق العالم وتدييره الخ فصدرها الطبيعة

وليس الامر كذلك في الفكر « ابن العقل » لان صدوره يقتضي « الشبه » بين العقل والمعقول . ولذلك بكل صواب نسمي الاقنوم الثاني « كلمة الله » « ابن الله » .

١) لا فرق بين قولنا ان الآب ينفخ روحه بكلمته او ان كلا الآب والابن ينفخ الروح القدس . ذلك لان الارادة لا يمكنها ان تحب شيئاً الا اذا صوره العقل فيشاركها بهذا في الحب .

امّا في الله فالعقل والارادة واحد والعقل وفعل العقل واحد . والارادة وفعل الارادة واحد ولكن يتميّز فعل العقل من فعل الارادة « بالترتيب » لان المحبة لا تكون الا « نظراً » الى ما يعقله العقل .

الالهية التي للاقانيم الثلاثة . فما يفعله الواحد يفعله الآخران وهكذا تتم وحدتهم في العمل كما هي تامة في الجوهر .

هذه هي حياة الله الذي تنازل واوحى اليها بشيء من أسرارها العجيبة . فما أسماها !

ومع سمو هذه الحقائق التي تصف لنا حياة الله يمكننا ان ندرك شيئاً من جمالها الذي لا حد له كما اننا نستطيع ان نرى شيئاً من نور الشمس ولا نحدق فيها بصرنا لتصورها كما هي .

من هذا الوحي الذي من به الله علينا نعلم ان حياة الله معرفة ومحبة ولا صعوبة في ذلك لان حياة نفسنا في جوهرها هي ايضاً معرفة ومحبة وقد « خلقها الله — كما يقول الكتاب — على صورته ومثاله » . ولكن ما لا

يمكننا قط ان نتصوره بتجرد قوانا الطبيعية هو ان هذه الحياة الالهية ليست غفيرة . تلك المزية البديعة التي اعطاها الرب مخلوقاته البشرية ان « تثمر »

وتهدي حياتها الى غيرها وتلد ابناء مثلها فيكمل بذلك فرحها ومجدها

هي في الله عز وجل ايضاً وهي فيه كاملة لان الآب يعطي الابن وبالابن

الروح القدس لا حياة تسبب حياته بل حياته بالذات . فكلتمته اقنوم الهي

حي مثله . وروح حبه اقنوم آخر الهي حي كذلك مثل الآب والابن .

وعلى هذا الشكل تكون الحياة في الله مشتركة بين اقانيمه الثلاثة .

وبهذه الحياة المشتركة يتمتع الله بسعادة العيشة الاجتماعية وبدرجة غير متناهية تفوق كل وصف .

ولم يكتفِ الله بكشف شيء من أسرار حياته بل اراد ان نشترك نحن ايضاً بها . وليس فقط في الآخرة حيث نراه وجهاً لوجه بل في هذه الدنيا ايضاً اذ ان الاقانيم الثلاثة تقيم فينا وتتحد بنا إن كنا نحب الله ونحفظ وصاياه (يوحنا ١٤ : ١٦ و ١٧ و ٢٣) .

فما اجل هذه التعاليم وما اسمها : فاذا بدت لنا حقيقة وحيها — ولا يصعب ذلك بنعمة الله — فلا يبقى لنا ألا ان نجثو خاشعين امام هذه العظمة ونخضع عقولنا القاصرة مرددين قول القديس بولس في رسالته الى اهل رومة (١١ : ٣٣) :

« يا لعمق غنى الله وحكمته ! ما أبعد احكامه عن الادراك وطرقه عن الاستقصاء ! من عرف الرب ومن كان له مشيراً ؟ ان كل شيء هو منه وبه واليه فله المجد مدى الدهور آمين » .

ها قد بسطنا بالايجاز حقيقة معتقدنا بالثالوث الاقدس كما تسلمناها من الرسل منذ البدء . تشهد بها كل المستندات التي لدينا من الجيل الاول والثاني للمسيح ولا أثر البتة لتولد هذه العقيدة في زمن من الازمنة بعد الرسل كما يلهم بعض اعداء المسيحية رغباً عن الشواهد التاريخية الصادقة التي تثبت اصلها الالهي . فكيف يجوز بعد ذلك للمسلمين وعلمائهم — لو ألقوا نظرة واحدة على الانجيل والرسائل لاسيما رسائل مار بولس — ان يتهمونا بأفطع التهم وأشنعها وينسبوا اليها تشبيهاً هو عبارة عن الله والمسيح الانسان والعذراء مريم . هل في وسعهم ان يذكروا اسم مسيحي واحد — او وثني — علم هذا الضلال الفاحش وسماء الثالوث الاقدس ؟ لقد خرج من الكنيسة ونبذ تعاليمها منذ الجيل الثاني كثيرون منهم مرقيون في الجيل الثاني وسابلييوس في الثالث وآريوس في الرابع وغيرهم

أنكروا الثالث وألوهية المسيح فردلتهم الكنيسة وتبرأت من أضاليلهم .
ومع ذلك لم يدع أحد منهم ان الثالث الاقدس مؤلف من الله والمسيح
الانسان والعذراء أمه^١ فهل يجوز بعد كل ما تقدم ان ينسب المسلمون
الشرك لنا ؟

ويحسن بنا في هذا المقام ان ننبه القارئ المسلم ان المسيحيين ليسوا
أفراداً قائماً كل واحد بذاته يعتقد ما يشاء وكيفما شاء . انما هم مجتمع وثيق
نسبيته « الكنيسة » . أسسه المسيح نفسه كما هو واضح في الانجيل واعمال
الرسل ورسائلهم . وعلى كل من ينتمي الى الكنيسة ان يؤمن بايمانها وألا
ردلته فهي اذاً غير مسؤولة عن أضاليل هؤلاء الخوارج ولا يجوز ان يتخذ
أحد اقوالهم كأنها عبارة عن المعتقد المسيحي . ولسو الحظ نرى المسلمين
يعتمدون مراراً على مثل هذه الاقوال لينتقدوا على الايمان المسيحي . ان الايمان
المسيحي هو ايمان « الكنيسة الجامعة » . وقاعدته قررتها رسمياً للمجامع^٢
« المسكونية » اي العامة من اوائل الجيل الرابع (٣٢٥) في ما نسميه
« قانون الايمان » . ولا يزال العلماء يشرحونه تحت اشراف رؤساء الكنيسة
الجامعة . هذا دستور ايماننا وقد نبذه كثيرون من البروتستانت مدعين

(١) قام في اوائل الجيل السابع في مصر خاصة بعض المتكلمين من شيعة
اليعاقبة وحاولوا تفسير معتقد المعتقدين بسرّ الثالث فقالوا ان الاقانيم الثلاثة ليس
لهم طبيعة واحدة كما تؤمن الكنيسة الجامعة بل لكل منهم طبيعته الخاصة . ولم
ينتهوا انهم يثلثون اللاهوت ويقولون بثلاثة آلهة وهو الشرك بعينه . فردلتهم
الكنيسة حالاً ولم يلبث ان اضمحلّ ضلالهم الوخيم وبقي عليهم اسم « مثلثي اللاهوت »

Trithéistes

(٢) ان المجامع لم تضع « قانون الايمان » لأوّل مرّة فانتا نجد بكتابات
الآباء الأولين . وانما توسّعت في عرض قضاياه وشرحها

الحرية في الدين . فلا يمكن ان تُعتبر اراؤهم المتضاربة كاعتقد المسيحيين
انما هي آراء شخصية مسؤول عنها صاحبها فقط .

. . . .

ها قد بينّا ما هو سرّ الثالث الاقدس . وما أبعده عن الضلال الفاحش
الذي ينسبه المسلمون الينا وذلك جهلاً منهم لحقيقة معتقداتنا ، وبينّا ايضاً
ان ليس في قولنا : اله واحد — جوهر واحد الهى — وثلاثة اقانيم او
اشخاص أثر للتناقض ولا لمخالفة آية حقيقة طبيعية راهنة . وزدنا على ذلك
ان لمعرفة هذه الحقيقة طريقة واحدة وهي الرجوع الى الوهى اذ ان
القياسات المنطقية المعتادة عاجزة عن اثبات وجودها كما انها عاجزة ايضاً
عن بيان بطلانها والسبب في ذلك ظاهر :

لا يمكننا ان نعرف الله — خارجاً عن الوحي — الا كما نعرف العلم
الخفية من المعلوم وصفاته . فالعالم معلول بلا شك لا بد له من علّة كافية
أوجدته بكل ما فيه . فهو مخلوق لا بد له من خالق وهذا الخالق هو
الله . وله كل ما نجده في المخلوقات الناطقة والغير الناطقة من الصفات
الحسنة بدرجة غير متناهية من الكمال . وهكذا ثبت انه قدير عليم
بكل شي . حكيم عادل لطيف الى آخر ما يمكننا ان نذكر من الكمالات .
كل ذلك نصل اليه بتأملنا المخلوقات . واما حياة الله ذاتها فما ابعدها عن
روية ولو شعاع من نورها ! نحن حياة الانسان لا نتوصل الى معرفتها بذاتها
فكيف بحياة الله ؟ جلّ ما هناك انه يمكننا ان نقول ان في حياة الله معرفة

لان المعرفة في مخلوقاته لكن هذه المعرفة في الله غير متناهية كذاته . وانه فيه تعالى محبة ايضاً لان المحبة في مخلوقاته الناطقة فلا بد ان تكون في الخالق غير انها فيه غير متناهية . هذا ما يهديننا اليه عقلنا . واما كون هذه المعرفة « اللامتناهية » شجرة وثمرتها « الكلمة » ابن الله إله مثل أبيه . واما كون هذه المحبة « اللامتناهية » مع « الكلمة » مصدر الروح القدس اله مثل الآب والابن فلا شيء في الطبيعة من المخلوقات ينبئنا عنه . فلا يمكناً قط ان نؤكد — ولا ان ننفيه — لان هذه الحقيقة خارجة عن دائرة العلم والفلسفة واسمى من ان يدركاها . فالوحي هو السبيل الوحيد الى الوصول اليها .

ولا في امكان المسلم ان يلتجئ الى قرآنه ليردّها لان التثليث الذي دحضه القرآن هو ذاك التثليث الغريب الفاحش المؤلف من الله والمسيح الانسان واه . واما سرّ الثالوث الاقدس كما عرضناه فلا أثر له في القرآن .

ولعلّ المسلم يعترض اخيراً بقوله : « ان التثليث كما تشرحوه الآن ايها المسيحيون ليس التثليث الذي كان معتقد المسيحيين في زمن محمد فاحتجاجكم على ما ننسب اليكم هو باطل » — ليس في الردّ على هذا الاعتراض اقل صعوبة .

سنبيّن بقال ثانٍ ان الاعتقاد بالثالوث الاقدس كما اثبتناه ليس من اليوم كما يتوهم المعارض . ولكنّه يرتقي الى اول يوم من ايام النصرانية . واذا أحبّ القارئ ان يطّلع على كل ما لدينا من المستندات فليسمح لي

بان احييه الى المؤلف الكبير الذي بدأ في وضعه حضرة الاب العلامة « ليرتون »^١ الاستاذ الكبير في الجامعة الكاثوليكية في باريز والذي عنوانه « تاريخ عقيدة التثليث ». اما الآن فاني اكتفي بدليل واحد . لقد عقدت الكنيسة المسيحية ثلاثئة سنة قبل الاسلام مجعاً عموماً في نيقة لبحث آراء واضاليل اريوس فأصدر قراراته المتعلقة بسرّ الثالوت وسرّ التجسد ايضاً أخذاً عن تعاليم الرسل والآباء الاولين . فليراجعها المعترض يتضح له ان العقيدة التي شرحناها اليوم هي تلك التي بين المجمع المذكور أساسها ومعناها وهي بعيدة عما يُنسب الينا بعد الثريا عن الثرى . وقد دونها المجمع في « قانون » لا نزال نتلوه شرقاً وغرباً نقول فيه :

« نوؤمن باله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والارض كل ما يرى وما لا يرى

وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور . اله من اله . نور من نور . اله حق من اله حق . مولود غير مخلوق . له وللآب جوهر واحد . الذي به كان كل شيء

وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب والابن . الذي مع الآب والابن يُسجد له ويُعبد . الناطق بالانبياء

هذا ايماننا بالثالوث منذ البدء . هذا ما تسلمناه من الرسل الذين استودعهم السيد المسيح الحقائق التي أراد ان يبلغونا اياها . ونكرر ملاحظتنا في هذا الصدد ان المسلم لا يستطيع ان يبين بطلان هذا السرّ

Histoire du Dogme de la Trinité, par JULES LEBRETON Professeur d'Histoire des Origines Chrétiennes à l'Institut Catholique de Paris. GABRIEL BEAUCHESSÉ Éditeurs. Paris.

بالجج الفلسفية ولا ان يطلب منا ان نثبت بالطريقة نفسها بل له فقط ان
يطالبنا باثبات حقيقة الوحي الذي نعتمد عليه في ايماننا .

• • •

قبل اقبال هذا الباب يحسن بنا ان نستلفت نظر القارى الى كيفية
شرح بعضهم لسر التثليث اتبعوا فيه ضلالاً كان قد نشره في الجيل الثالث
« سابأيوس » الذي ذكرناه (ص ١٣)

ادعى هذا الخارج ان الله واحد في جوهره وتخصبه وانما يسمى
الآب والابن والروح القدس بالنسبة الى صفاته الجوهرية او أعماله .
فباعتباره خالقاً ومدبراً للكون يسمى الآب وباعتباره مخلّصاً وفادياً للبشر
يسمى الابن . وباعتباره مقدساً للأنفس يسمى الروح القدس . فليس
إذا هناك ثلاثة اشخاص بل شخص واحد **ولله أسماء** . وقد حاربت
الكنيسة هذا الضلال منذ ظهوره فحرمه مجمع الاسكندرية سنة ٢٦١
ثم المجمع المسكونية ولكنه لم يضمحل فاننا نراه منتشر بين مسيحي
العراق . وفي مجادلاتهم مع المسلمين يعتمدون عليه ليشروا لهم التثليث
كما تقرأ مثلاً في كتاب رسالة الكندي .

وقد جدت هذا الضلال في الجيل الـ ١٦ شيعية من البروتستنت —
وهي شيعية « السوشنيان » — وغالت في شرح مبادئه الفاسدة وقد تفشى
هذا الداء بين غير الكاثوليك من الشرقيين . ولعلهم اتبعوه ترفلاً الى
المسلمين اميتنوا لهم انه ليس من فرق جوهرى بين المسيحية والاسلام .
نقرأ في كتاب حديث (١٩٣٨) — وهو جزيل الفائدة في جملة من

اجباته — « المسيحية في الاسلام » لحضرة الايغومانس ابراهيم لوقا (مصر)
في وجه ٦٥ و ٦٦^{١)}

« ان الله موجود بذاته حي بروحه ناطق بكلمته ... »

« وهذا الاله الازلي الوجود والحياة والنطق هو ما يعبر عنه في الديانة
المسيحية بالثالوث الاقدس ... »

« فوجوده عبارة عن صفة الابوة . ونطقه عن صفة البنوة . وحياته

عبارة عن صفة الانبأ » ... »

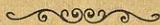
ان هذا القول عبارة عن انكار حقيقة التثليث كما أنكره سابيلوس
وبالتالي انكار التجسد والفداء مع ان حضرة المؤلف يؤمن بلا شك بهذه
الاسرار الثلاثة ولا حاجة الى بحث طويل لبيان ذلك :

ان الوجود في الله هو هو بعينه الحياة وهو هو بعينه النطق . ذلك

لان الله بسيط لا تركيب فيه البتة وعليه ليس من تمييز بين الوجود والنطق
والحياة الا في عقلنا فلا يمكن ان تكون هذه الصفات عبارة عن الابوة
والبنوة والانبأ . فالآب هو الوجود بالذات والنطق بالذات والحياة
بالذات . وكذا قل عن الابن والروح القدس فلا يبقى مميز بينهم ولا يجوز
اذ ذاك ان يُعتبروا ثلاثة اشخاص بل شخصاً واحداً تعددت اسماؤه . وليس
هذا من التثليث بشيء .

١) راجع ايضاً البحث الرابع حيث يحاول حضرة الكاتب ان يبرهن
« ان الاسلام قد تكلم عن الثالوث الاقدس كما تعلم به المسيحية »
وقد استشهد بما ورد في « المشرع » لحضرة القس سباط وهو مخالف لتعليم
الكنيسة والمجامع المسكونية .

لان الاقنوم كما قلنا شخص حقيقي والمميز بين الاشخاص الثلاثة هو
اضافي او نبي فقط فالابن هو شخص صادر من الاب والروح القدس
من الاب والابن والاب ليس من امر . فترى ان بين عقيدتنا واعتقاد
المسلمين بونا شاسعاً جداً . انا مجمعون على القول ان الجوهر الالهى واحد
فالله واحد . ونزيد على ذلك نحن المسيحيين ما استلمناه من الوحي ان
هذا الجوهر الواحد هو في ثلاثة اقانيم . وهذا لا يقوله المسلمون لسوء
الخط مع انه ورد في سورة العنكبوت :
« ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي أحسن الا الذين ظلموا منهم
وقولوا آمناً بالذي أنزل إلينا وإليكم وإلينا وإلهم واحد ونحن له
مسلمون »
فقد انتبهوا الى وحدانية الله في جوهره ولم ينتبهوا الى تثليث أقانيمه .



في مسّ التجسد

هنا يوقفنا الخصم حالاً ويقول : « نحن المسلمين نعتقد ان المسيح نبي بل « كلمة الله » ولكننا نأخذ عليكم ايها المسيحيون انكم تؤثرون هذا النبي وهو كفر واضح لا يجيزه العقل السليم »

صدق المعارض لو كنا حقيقة نوّله انساناً مهما كان نبياً وقديساً عظيماً لان البون بين الخالق والمخلوق لا حدّ له . ولكننا لا نوّله انساناً انما نوّمن بان الله نفسه تنازل وصار انساناً مثلنا ولا يُنفى على أحد البعد الشاسع بين هذا القول وما ينسبه اليه المعارض . ولا نقول ذلك استنتاجاً من مبادئ

فلسفية او دينية طبيعية لان العلوم الطبيعية مهما سمت وارتقت عاجزة عجزاً مطلقاً عن معرفة حياة الله الباطنية . وكون الله قد اتخذ له طبيعة بشرية مثل طبيعتنا فذلك من معالم حياته الالهية التي تفوق كل ادراك وعليه لا نقول بتجسد الله الا لانه هو الوحي لنا به . وسنبين حقيقة هذا الوحي وانما غرضنا الان ان نبين ان ليس في فكرة التجسد كما نوّمن به ما يخالف الحقائق الطبيعية او المازلة الاكيدة . فطريقتنا هنا هي كالتي اتبعناها في كلامنا على الثالوث الاقدس .

• • •

قلنا ان الله واحد في ثلاثة أقانيم ولا لاحد ان ينكر ذلك بديهياً بل

إن رأى ان ينفيه فعليه ان ينفي صحة الوحي الذي يُسند اليه ان استطاع الى ذلك سبيلاً . وتزيد الآن على هذا القول بالتثليث :

ان الاقنوم الثاني — وهو الابن — اتخذ جسداً ونفساً كجسدنا ونفسنا في أحشاء العذراء مريم بلا زرع بشري بل بقوة الروح القدس فصار انساناً حقيقياً ولم يزل الرباً كما كان فهو اذا اله وانسانه معاً .

فهل في هذا القول تناقض او مخالفة للمبادئ العقلية الراهنة ؟ فان هذا الاله المتجسد شخص واحد الهى له مع طبيعته الالهية طبيعة بشرية كاملة ولكن هذه الطبيعة البشرية لا شخصية بشرية لها .

وكيف يمكن ذلك ؟ قلنا ولا تزال نقول : نحن امام اسرار تفوق ادراكنا ولكن يمكننا ان نبين — قبل اثبات صحة الوحي بها — ان ليس فيها تناقض .

برهناً في الفصل الثاني ان الشخص غير الطبيعة فقد تعدد الأشخاص والطبيعة واحدة — هذا هو سرّ الثالوث الاقدس — وهنا تعدد الطبيعة والشخص واحد : هذا هو سرّ التجسد .

قد اتخذ ابن الله طبيعة بشرية برزت الى الوجود في شخصه الالهى فهي غير مستقلة بذاتها ووجودها بل هي موجودة في شخص ابن الله ولا وجود لها الا به وفيه كما يشرح القديس توما اللاهوتى الملفان الكبير الشهير . فاذا كانت غير مستقلة بوجودها فهي اذا بلا شخصية بشرية فشخصيتها هي شخصية ابن الله اذ انها به وله . ولذلك نقول ان ابن الله

المتجسد — وهو شخص واحد واسمه يسوع المسيح — له طبيعتان الهية وبشرية. هذا سر غامض كما قلنا ألا انه يمكننا باستعارة الأمثال ان نقرّبه الى فهمنا.

• • •

تؤمن ايها المسلم ان الله قادر ان يحيي الموتى وقد اقام بعضهم فعلاً . فاعتبر جسد احدهم وهو ميت مثلاً جسد لعازر الذي أقامه السيد المسيح (يوحنا ١١) . انه جوهر مادي — والجوهر والطبيعة شي . واحد كما سبق وقلنا ولا يتميزان الآنظرياً — هذا الجوهر موجود مستقل في ذاته فهو إذن « موضوع » كما يقول الفلاسفة والموضوع للاشياء جمادات كانت ام حيوانات كالشخص لذوي النطق . ثم اعتبر من جهة أخرى نفس ذاك الميت لعازر فانها لا تزال حية . وهي جوهر روحاني قائم في ذاته مستقل بوجوده فله نوع من الاقنومية او الشخصية البشرية . فهاذا يفعل الله إذ يقيم هذا الميت ؟ انه بقدرته الغير المتناهية يُعيد الى النفس جسدها فيصبح المجموع المركّب من هذين الجوهرين الروحاني والمادي شخصاً واحداً بشرياً حياً ولا يعود الجوهر المادي موضوعاً مستقلاً بذاته بل هو قائم في ذات الجوهر الروحاني . فلك في ذات شخص واحد عنصران جوهريان مختلفان أسمى وأدنى . والأسمى — على ما يقول مار توما — يولي الأدنى وجوده ويشركه بشخصيته . هذا مثال — وان كان بعيداً — يفسر نوعاً اتحاد الاقنوم الثاني الالهي بطبيعة بشرية وكيف يولي الاقنوم هذه الطبيعة التي لا شخصية بشرية لها شخصيته الالهية .

فلا تناقض اذا في تعدد الطبيعة في المسيح ووحدة شخصه الالهي .

. . .

أتعترض قائلاً : « لو تجسّد الله للزم الاقانيم الثلاثة التي تزعمون ايها النصارى انها فيه ان تتجسّد ايضاً اذ ان الله واحد » .

لا يصعب الجواب . صدقت يا هذا لو كنّا نقول بتجسّد الطبيعة الالهية — ولا ندري ماذا يكون اذ ذاك معنى التجسّد — فبما انها واحدة لزمها ان تتجسّد في الثلاثة معاً . ولكنّا نقول ان الاقنوم الثاني تجسّد أي خصّ بشخصه الالهي طبيعة بشرية . وبما ان هذا الشخص متميّز عن الاثنين الآخرين فما اختصّ به لا يختص بالآخرين . فيمكن الابن اذا ان يتجسّد دون الآب والروح القدس . كما انه من الممكن ان يتجسّد الآب او الروح القدس دون الابن .

. . .

أيزعم المعارض ايضاً ان التجسّد بلحمي تغييراً بالباري تعالى مع ان الله غير قابل للتغيير اذ انه الكمال الغير المتناهي — ان هذا الزعم باطل . ليس التجسّد مزيجاً من اللاهوت والانسوت حتى يحدث في كلا العنصرين تغييراً كما تصوّر بعض الخوارج فقالوا ان المسيح واحد بشخصه وطبيعته فردلتهم الكنيسة . انما التجسّد هو إيجاد طبيعة بشرية كاملة خصّت بشخص ابن الله . فالتغيير يلحق اذن تلك الطبيعة التي لم تكن ثم كانت . ولا يمسّ الطبيعة الالهية البتة كما ان الله لا يتغيّر اذ يخرج الكائنات

من العدم الى الوجود بخلقها آياها^(١). وقد أعطانا القديس اغوستينوس اكبر ملائنة الكنيسة مثالا بديعاً يبين لنا كيف يتجسد ابن الله ولا يتغير لاهوته :

يمكننا في فعل الفهم ان نعتبر كلمتين كلمة **باطنية** وكلمة **خارجية** .
فالكلمة **الباطنية** هي الفكر الذي به نفهم ماهية الشيء قبل ان تتبادر الى الحس الخيالي أصوات الالفاظ التي نعبّر بها عنه . والكلمة **الخارجية** هي ذلك اللفظ الذي نعبّر به عن الكلمة **الباطنية** اي عن فكرنا . فاللفظ اذا كان مطابقاً تام المطابقة للمعنى — ومك تعجز الالفاظ عن ذلك ! — لا يغير شيئاً من كنه الكلمة الباطنية سوى انه يجعلها ظاهرة محسوسة . هكذا الطبيعة البشرية التي اتخذها ابن الله « الكلمة الازلي » فانها كلباس خارجي يجعله منظوراً ولا يس شيئاً من طبيعته الالهية . ومن البديهي ان هذه الطبيعة البشرية لا ترينا الطبيعة الالهية كما يراها الطوباويون في السماء . وانما نعرفنا صفاتها السامية بقدر ما يمكن المخلوق ان يتسنى له معرفة الخالق في هذه الدنيا . وليس تفسير القديس اغوستينوس سوى صدى ما قاله مار يوحنا الانجيلي في بدء انجيله (١ : ١٤ — ١٤) .

« في البدء كان **الكلمة** و **الكلمة** كان عند الله و **الكلمة** كان الله .

(١) وهذه المناسبة يحسن ان ننبّه القارئ ان لا يحمل بعض عبارات الخطاب خاصة على غير معناها . فاقم يقولون مثلاً في كلامهم عن السيد المسيح « الله وُلد او جاع او تألم او مات » الخ فليس المراد ان هذه الأفعال صدرت عن الطبيعة الالهية ولكن المعنى المقصود هو انها مختصة باقنوم الهي وان كانت صادرة عن طبيعة بشرية هي له إذ ان « الأفعال تنسب الى الشخص » لا الى الطبيعة .

كلّ به كَوْن وبغيره لم يَكُون شيء مما كَوْن... والكلمة صار جسداً وحلّ فينا . وقد أبصرنا مجده مجد وحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً .
 فابن الله الوحيد يسمّى **الكلمة** لانه مولود من الآب كما يُولد الفكر من العقل (راجع ص ٢٠) وقد تجسّد اي أخذ جسماً حياً وهو باقٍ **كلمة** الله والله ، كما يبقى الفكر في العقل وان برز خارجاً عنه مجسم الالفاظ .

...

وهناك اعتراض آخر أتى به شلسيوس الفيلسوف الوثني في الجيل الثاني — وقد كان من الدّ أعداء النصرانية في ذاك العصر — وجدّده ابن حزم من علماء المسلمين في الجيل الحادي عشر للمسيح وظنّ ان فيه صعوبة لا يمكن حلّها . فادّعى الخصمان « ان التجسّد ضرب من المحال لانه **نزّل** لا يليق بمجالاته عزّ وجلّ » .

لا نعجب من ان وثنيّاً لا يعرف الاله الحقيقي اعترض مثل هذا الاعتراض ولكن العجب كل العجب من ان مؤمناً بالله يجاريه . وما كنّا نتوقّف مليّاً في الردّ عليه لولا انها فرصة سنحت لايضاح جملة حقائق تريد القارئ معرفة بالدين المسيحي وفهماً لحقائق اسراره .

ليس التجسّد **نزلاً** يخطّ من شأنه تعالى بل هو **تأزّل** عجيب من العزّة الالهية الفائقة عظمتها كلّ حدّ وتصور .

التذلل ان يشخّذ الكبير أخلاق ورذائل من هو دونه منزلةً وشرفاً او فضيلةً ليتمثّل به طمعاً باكتسابه الى مصلحته او ارضاء لشهوته . واما

التنازل فهو ان يقترب الكبير وهو على كبره وعظمته وفضله من الصغير ليأخذ بيده رحمة وانعطافاً فيرفعه ويحسن حاله . هذا لعمر الحق من أجل الاعمال واسماها . وكلما تنأى البعد بين الكبير والصغير كان التنازل أعظم وأجدر بالاعجاب . فمن يستسي تذلاً لصنيع القديس لويس ملك فرنسا وغيره من الامراء والقديسين والملوك الاتقياء اذ كانوا يغسلون ارجل الفقراء والمساكين ويخدمونهم ؟ هذا فعل تواضع ومحبة لم يكن يعرفه الاقدمون وما من عاقل الا ويمتدحه . بعكس ذلك صنيع أمير عظيم ينسى منزلته السامية ومقامه الرفيع ليقترن براقصة . هذا تذلل يحط من شأنه . فالتجسد هو تنازل الهي اراد به الرب ان يتقرب الى الانسان ليقدمه ويرفع شأنه ويجعله ابناً له . فهو اذاً من أجل أعمال الله وأجدرها بالاعجاب والثناء .

فليس اذاً اعتراض شلسيوس وابن حزم في محله فالتجسد أهل لله . بل تؤيد على ذلك بقولنا : ان كان التجسد ممكناً — وهذا لا نستطيع ان نعمله ما لم يوحه الله — فهو يليق به تعالى وسبب ذلك ظاهر

الله هو الجوهر بالذات ومن طبع الجواد البذل والبذل ليس فقط ممّا عنده بل ايضاً ممّا له اي بذل نفسه . فبالتجسد يعطينا الله ذاته اذ يظهرها للبشر فيؤانسهم ويعزيهم ويستمتع طلباتهم ويشاركهم في احزانهم وأفراحهم ويجود عليهم بكنوزه الروحية والمادية . بكلمة : انه يواخيهم مؤاخاة لا مثيل لها .

الله هو القمرة بالذات . خلق العالم من لا شيء . بكلمة غير اننا لا نرى ذلك باعيننا انما نستنتجه علمياً من تأمل الكائنات والبحث عن عللها

فالبحت يؤدينا الى اثبات علة العلل كلها وهي الله . ولكننا بالتجسد نتحقق القدرة الالهية بروؤيتنا الاله المتجسد اذ ان اتحاد اللاهوت بطبيعة بشرية كاملة حتى يصبح واياها شخصاً واحداً اقوى دلالة على قدرة الله الغير المتناهية من الخلق نفسه . وانه ليجدر بجود الله ان يعرفنا ذاته وقدرته لنحبه ونشق به .

الله هو الحق بالذات . هو النور الساطع الذي يضيء على كل انسان . وهذا النور الالهي الغير المتناهي أحب الامور اليه ان يبدد ظلمات الجهل والضلال وهل يمكن ان تتلأأ أشعته البهية اكثر منها في سر التجسد اذ يرى المؤمن الحق بالذات بهيئة محسوسة يعلم باقواله وامثاله وكيانه . ولا حاجة الى الاطالة ففيا قلنا الكفاية ليتضح لكل عاقل عظم النعمة التي يوليناها الله بتجسد ابنه . فتري ان التجسد لا يحيط بمنزلة الله بل هو أنسب ما يمكنه تعالى ان يبرهن به عن جوده وحبه وقدرته وحكمته . وترداد هذه الحقيقة جلاء اذا ما اعتبرنا غاية التجسد .

...

يعلمنا الايمان المسيحي ان غاية التجسد الاولى هي الفداء الذي به استحق لنا ان نصبح أبناء الله . وهذه الغاية وحدها تبرر — كما ستري — تجسد ابن الله وتبين عظم النعمة التي من بها على الجنس البشري حباً وتفضلاً . بل يصبح التجسد اذ ذاك واجباً وليس فقط لاتقاء مجوده تعالى . والغاية الثانية هي ان يعلم ابن الله الوحيد اخوته الذين تبناهم ابوه السماوي كيف ينبغي لهم ان يعيشوا عيشة تليق بأبناء الله . أليست هذه الغاية أهلاً بكرم الله وحكمته السامية ؟

ولعلك تقول : « لا يحتاج الانسان الى اله متجسد ليعلم كيف يجب عليه ان يعيش حتى تكون حياته لائقة بمن اتخذه الله ابناً له . كفى بالله ان يرسل اليه انبياءه كما صنع في الماضي . والانبياء يعلمونه بأمثالهم واقوالهم كل ما يهتمة معرفته لتقديس حياته » .

أجل بوسعك تعالى ان يُطلعنا على كل الحقائق التي يريد ان نعرفها بواسطة انبيائه . بوسعك ان يرينا القداسة ممثلة بشخص اوليائه الابرار . ولكن شتان بين تعليم الرسل والانبياء وتعليم الابن الوحيد الاله . وشتان ما بين مثل التقديسين ومثل الاله المتجسد .

لا يخفى على أحد ان الحقيقة لها تأثير أعظم اذا خرجت من فم انسان له سلطة عالية . اعتبر انساناً فقيراً يقول : « ساعد الفقير لان ذلك مرضي لدى الله » . واعتبر اميراً عظيماً ينادي بهذه الحقيقة عينها امام رعاياه : أفما تجد فرقاً عظيماً في تأثير كل واحد منهما على سامعيه ؟ ومن اين هذا الفرق ؟ لا نكير انه نتيجة التفاوت في مقام القائلين فسمو شخصية الأمير تولى كلامه قوة لا يبلغها كلام الفقير . وعليه مهما كان النبي عظيماً فما احقره بالنسبة الى ابن ربه ! عندما يقول هذا « كونوا رحماء كما ان اباكم السماوي رحوم » ترى أفما تهتر كل جوارح الانسان المحب للفضيلة ؟ ولا يؤثر كلام نبي في سامعيه مثل هذا التأثير .

وابلغ واعظم من ذلك تأثير المثل اذا بدا من ذوي السلطان الرفيع والمثلة العليا سواء كان للخير ام للشر .

ينادي نبي بوجوب الزهد وفائدة التجرد من حب أموال هذه الدنيا ويؤيد كلامه بمثله . وفعلًا قام انبياء واعظين بكلامهم وامثالهم . فهل أفلحوا ؟ جاء المسيح الذي نعتقد نحن المسيحيين انه ابن الله وولد في الفقر

المدقع وعاش في الفقر ومات في الفقر . فقام الملايين من أتباعه وهجروا القصور وتبرعوا بأموالهم للفقراء وقضوا حياتهم في خدمة المساكين وعيالة المرضى وتهذيب المتوحشين في البلدان القاصية . هذه قوة مثله .

كم مدح الانبياء بمثلهم وكلامهم فضيلة العقّة والطهارة ولكن ابن العذارى والمتعقّفون الذين اتبعوا آثارهم ونصائحهم ؟ جاء المسيح ابن الله مثال الطهارة والعقّة . فقام بعده الملايين من المتبتّلين والعذارى وضخوا بكل ملاذ الدنيا لينقطعوا لخدمة الله والقريب اقتداءً بمثل ابن الله .

كم مدح الانبياء الصبر في الشدائد وكانوا مثلاً لهذه الفضيلة ومع ذلك نرى قلة تأثير هذا المثل في شعب الله قبل المسيح . فان بني اسرائيل لأدنى مصيبة او نائبة تحلّ بهم كانوا يتذمرون على موسى وانبياء الله . جاء المسيح ومع ان السعادة واجبة به اراد ان يتخلّى عنها مدّة ويتحمّل كل انواع العذابات واشدها هو لا . فما كان تأثير مثله ؟ اسمع قول مار بولس وقد ردّده الملايين من المسيحيين الاتقياء :

« حاشا لي ان افتخر ألا بصليب يسوع المسيح الذي به صُلب العالم لي وانا صُلبتُ للعالم » (غلاطية ٦ : ١٤)

فاحتملوا بصبر وفرح كل مصائب هذه الدنيا حتى الموت حباً بالمسيح كان جلّ اجتهاد الانبياء في القديم حفظ الشعب الاسرائيلي — وكان وحده يعبد الاله الحقيقي — في الطاعة لله ولوصاياه وكانوا أجمل مثال لهم . فهل نجحوا كثيراً ؟ جاء المسيح وقال :

« نزلت من السماء لا لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي ارسلني وأقمتم عمله » (يوحنا ٤ : ٢٤)

وهذه المشيئة تتمّها حتى الموت . فلما كان ينازع في البستان كان

يصلّي لتعبر عنه كأس الآلام ولكنه كان يردف حالاً « لا تكن مشيئتي بل مشيئتكَ » (مرقس ١٤: ٣٦) وعلى الصليب قبل ان يسلم الروح جدّد تسليمه لارادة ابيه منادياً بصوت عظيم . « يا أبتي في يديك استودع روحي » (لوقا ٢٣: ٤٦) .

هذا المثل اتّبعه الملايين من المؤمنين بلاهوت المسيح حتى في ايماننا ولما ارادوا ان يلزموهم على الكفر بالله فضلوا الموت في العذاب على مخالفة ارادة الله

قلّ ما ورد في اقوال الانبياء من الإشادة بحبّ القريب الغريب مع ان الوصية عند اليهود كانت : « أحبّ الرب الهك . . . وقريبك كنفسك » ولكنهم مع تقادي الايام حصروا القسم الثاني منها في محبة ذوي القربى وبني أمّتهم فقط . ظهر المسيح ونادى بواجب حبّ كل انسان وان غريباً وان عدواً . وقد كان أوّل من تمّم بالفعل ما أوصى به فغفر لاعدائه من أعلى الصليب المعلق عليه وعذرهم لدى أبيه (لوقا ٢٣: ٣٤) وها نحن حتى الان نرى الشهداء فضلاً عن العدد العديد من المسيحيين الاتقياء يقتدون بمثله ويصلّون لاجل مضطّهديهم ويغفرون لهم بل يموتون لأجلهم .

هذا تأثير مثل السيد المسيح وليس لمثل الانبياء القديسين هذا المفعول لانهم لا يزالون بشرًا ومهما سمعت قداستهم فلا بدّ من ان يبقوا ناقصين . ولذلك شاء الله ان يقدم لنا مثلاً كاملاً من كل وجه يتجلّى فيه كماله الالهي ليتمكن المسيحي لدى النظر اليه من تحقيق الوصية الالهية القائلة : « كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كامل » (متى ٥: ٤٨) .

وقبل الانتقال الى الكلام على سرّ الفداء يجب ان ننبّه القارئ الغريب عن ايماننا ما هو معنى عبادتنا للسيد المسيح واكرامنا لآلته العذراء .

ان الاكرام يوجّه الى شخص الانسان لا الى اجزاء كيانه . فاني عندما أقبل يد ابي ليس موضوعي اكرامي ذاك العضو اللحمي الذي أمسه انما هو شخص ابي الذي له اليد التي قبلتها . تلك حقيقة لا يختلف فيها اثنان . فاذا كان السيد المسيح الهاً وانساناً معاً كما نعتقد **شخصاً واحداً الرباً** — اذ ان البشرية ليس لها فيه شخصية بشرية — وجب عليّ ان أؤذي لشخصه الالهي واجب الاكرام الذي يستحقه ويتطلبه شخص الهي ابي الله بعينه فاسجد له وأعبده كما اعبد اياه السماوي .

ويمكننا ايضاً بالنظر الى طبيعته البشرية ان نلتجئ اليه كوسيط بيننا وبين ابيه السماوي ونسأله ان يتوسّل الى ابيه لاجلنا فان وساطته لا تردّ وقد فعل ذلك مراراً في حياته على الارض كما نرى في الانجيل .

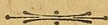
وكذلك يلزمنا ان نسمي العذراء مريم امّ السيد المسيح امّ الله لان الأمومة تُنسب الى الشخص . والشخص الذي ولدته العذراء مريم هو شخص ابن الله فهي اذن بكل حقيقة امّه وان لم توله لاهوته بل طبيعته البشرية فقط . وما مثلها في ذلك الا مثل امهاتنا فانها لا تعطينا نفسنا الناطقة . انما هي مصدر اجسادنا والله يخلق النفوس الروحية لتتحد بتلك الاجسام . ومع ذلك نطلق على المرأة التي وُلدنا منها اسم « الأم » وبكل صواب لان الامومة تُنسب كما قلنا الى الشخص .

وامّا اكرامنا للعذراء مريم فانه الاكرام الذي نؤديه **لمخلوق** لانها **شخص بشري** لا الهي مثل ابنها وان كانت امّه . ولكن هذا الشخص البشري تفوق منزلته منزلة كل المخلوقات البشرية والملائكية الكائنة

والممكنة ايضاً اذ لا يمكن ان نتصور مقاماً أرفع من مقام أم الله . وعليه
يجب ان نكرم العذراء إكراماً يفوق اكرامنا لكل القديسين واولياء
الله . وهو عائد الى شخص ابنها كما هو واضح . ولكننا لا نعبد **ها** بحصر
المعنى كما يتهمنا بعض الاخصام زوراً وبهتاناً .

...

هذا معتقدنا بسرّ التجسد بسطناه باختصار . فاي تناقض لحظته ايها
القارئ اللبيب في كل ما عرضناه عليك ؟ واية حقيقة فلسفية او علمية
راهنة وجدتنا قد خالفناها ؟ **لسنا نؤله انساناً** كما يتصور المسلمون انما
نؤمن — استناداً الى وحي حقيقي نبرهن عنه بادلة راهنة — **ان الله**
(الاقنوم الثاني من الثالث) اتحد بجسد ونفس بشريين وظهر لنا . فعبادتنا
موجهة الى **الله متجسداً** وليس في التجسد كما فسّرناه ما يبغض اللاهوت
حقوقه . ولا يجوز للمسلم ان ينبد هذه الحقيقة ما لم يتيقن ان البراهين المثبتة
صحة هذا العمل الالهى العجيب لا قوة لها . وعلى كل حال ليس له البتة
ان ينسب اليها الشرك او الكفر . اذ اننا لا نعبد **الاً** الهاً واحداً قد ظهر
بشخص اقنومه الثاني متحداً بطبيعة بشرية كطبيعتنا .



٤ سرّ الفداء

هذه أيضاً مشكلة ثالثة تبعد المسلمين عنّا فيجب حلّها . ولا حاجة
إلا الى بسط ما نعتقده حتى يرى كل منصف ان ليس فيه ما يستوجب
الاستنكار بل بالعكس ما يقضي بالاعجاب والشكر لله .
نبدأ بالجواب على اعتراض ورد في كتاب « حياة محمد » (ص ٩)
لمؤلفه حضرة محمد حسين هيكل إذ قال :

انه لا يمكن التوفيق بين عقيدة الاسلام وعقيدة المسيحية « فان المبدأ
الذي قرره الاسلام من ان لا ترز وازرة وزر أخرى وان كل امرئ يوم
القيامة مجزيّ بأعماله إن خيراً فخير وإن شراً فشر » يجعل التقريب المنطقي
بين العقيدتين غير ممكن ويجعل منطق الاسلام من الدقة بحيث لا تجدي
معه محاولات التوفيق مع **التناقض الواضح بين فكرة الافتراء**
وفكرة الجزاء الذاتي « لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن
والده شيئاً » .

غريب لعمر الحق جهل المسلمين وأدبائهم وعلمائهم بمعتقد النصارى :
ولو كلّفوا انفسهم مطالعة اي كتيب من كتب « التعليم المسيحي » التي
تتداولها أيدي صغارنا لتحقيقوا حالاً انهم ينسبون إلينا ما نحن منه براء .
فتى أنكر المسيحيون « الجزاء الذاتي » ؟ فان كتب العهد القديم والعهد

الجديد الممزقة طافحة بالآيات التي تثبته . ولذلك قبل ان نبين حقيقة سرّ
 الفداء يجب ان نثبت حقيقة الجزء الذاتي في معتقدنا المسيحي . واليك
 بعض شواهد من الانجيل نلونها كافية لاقتناع كل من يحب الحق .
 اول كلمة قالها يسوع لما ابتداء يكرز ويدعو الشعب اليه هي :

« توبوا » فقد اقترب منكم ملكوت الله (متى ١٧: ٤) .

وقد كرّر هذه الدعوة الى التوبة مراراً . فالتوبة وأعمالها الشاقة
 شرط الدخول في ملكوت الله (او السماوات والمراد واحد) . امأ ملكوت
 الله فهو كناية عن ملك الله في هذه الدنيا^١ على النفوس التي تطيعه حتى
 تستحق ان تتمتع بسعادته في الآخرة في ملكوته السهوي . فالتوبة اذاً
 واجبة حتى يحظى الانسان بالسعادة الابدية : اليس هذا الجزء الذاتي ؟
 وصرح ايضاً يسوع بوجوب تميم ارادة الله والألا تفيد الصلاة
 والعبادة :

« ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السماوات
 لكن الذي يعمل ارادة ابي الذي في السماوات هو يدخل ملكوت
 السماوات » (متى ٢١: ٧)

فالسماوات اذن جزء عمل ارادة الله : أليس هذا الجزء الذاتي ؟
 وسأل شاب يسوع يوماً (متى ١٩: ٣١) : « ماذا أعمل لأرث الحياة
 الابدية . » فقال له : « ان كنت تريد ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا »
 ثم ذكرها له أو أهمها .

فحفظ الوصايا شرط لا بد منه للدخول الى السماء . وليس حفظ

(١) كان يظن اليهود ان السيد المسيح يملك على الارض ملكاً زمينياً .

الوصايا كلها أمراً سهلاً : أليس جزاء هذا الحفظ جزاءً ذائباً ؟
وحفظ الوصايا متعمد على الانسان مهما كلفه من المشاق حتى الموت
(مرقس ٩ : ٤٢-٤٧) .

« ان شككتك يدك فاقطعها . فخير لك ان تدخل الحياة وانت
أقطع من ان يكون لك يدان وتذهب الى جهنم الى نار لا تطفأ حيث لا
يموت دودهم ولا تطفأ نارهم . . . »

وكذلك ان شككتك رجلك او عينك (٤٤-٤٧) فعنى العبارات

مجازي كما لا يخفاك وهو انه يجب الابتعاد حتى عن اسباب الخطيئة وان
كانت عزيزة لديك كما هي عزيزة عند الانسان يده او رجله او عينه .
فلا شيء يعطينا من حفظ الوصايا والأهلكنا : أليس في كل هذا تصريح

بالجزاء الذاتي ؟

راجع ايضاً الامثال العديدة التي كان المعلم الالهى يضربها ليفهم
الشعب ضرورة العمل الذاتي للخلاص كمثل المزارع او مثل الصيادين
(متى ١٣) وكمثل العملة ومثل العذارى العشر ومثل العبيد والوزنات
(متى ٢٥) الخ . وبسبب اهمال العمل الذاتي حل الخراب باورشليم (لوقا
١٩ : ٤١-٤٤) .

ولكن اسطع من الشمس في رائعة النهار الحكم الذي يصدره
السيد المسيح في منتهى العالم اذ يجلس ايدين الاحياء والاموات وهو مبني
على الاستحقاق الذاتي . فانه يقيم الابرار عن يمينه والاشرار عن يساره ،
(متى ٢٥ : ٣٤-٤٦) ثم يقول للذين عن يمينه :

« تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم . لاني

جعت فاطعتموني وعطشت فسقيتموني وكنت غريباً فأويتموني ومريضاً
فعدتموني ومحبوساً فأتيتم اليّ . فيجيبه الصديقون : ومتى رأيناك غريباً
فأوتيناك . او عرياناً فكسوناك . ومتى رأيناك مريضاً او محبوساً فأتينا
اليك ؟ فيجيبهم الملك : الحق اقول لكم كما فعلتم ذلك بأحد هؤلاء
الصغار فبي فعلتموه .

ثم يلتفت الى الاشرار الذين عن يساره ويقول لهم :
« اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابدية المعدة لابليس وملائكته لاني
جعت فلم تطعموني وعطشت ولم تسقوني . . . الخ »
فيسأله الاشرار متى كان ذلك فيجيبهم :
« الحق اقول لكم كلما لم تفعلوا ذلك بأحد هؤلاء الصغار فبي لم
تفعلوه . »

هذا هو الحكم الاخير : « فيذهب هؤلاء الى العذاب الابدي
والصديقون الى الحياة الابدية . »

وما هي مميزات هذا الحكم ؟ ان الابرار يجازون لانهم استحقوا
الجزاء لاعمال الرحمة التي اوصى بها الله فأتوها . والاشرار يُعاقبون لانهم
اهملوها فاستحقوا العقاب : اليس هذا الجزاء الذاتي ؟

وعلى هذا المنهج سار الرسل في كرازتهم (راجع سفر «اعمال الرسل»
ورسائل بطرس وبولس ويوحنا الخ) . والكنيسة في تعاليمها (راجع
المجمع التريدينتي في الجلسة ٦ والبند ٤) . وانك لن تجد على الارض ديانة
تحت على العمل والاستحقاق الذاتي مثل الديانة المسيحية . فكيف فات
حضرة الكاتب المذكور هذا القانون الاساسي من ايماننا فذهب الى انه

ينفي الجزاء الذاتي ؟

لعله تأثر من بعض آراء للكتبة البروتستنت القدماء اذ قالوا « ان
الايان يكفي للخلاص ولا حاجة الى الاعمال » . فأوهوا ان الجزاء الذاتي
لا اعتبار له عندهم . ولكن قولهم هذا جاء ١٥٠٠ سنة بعد المسيح
وكرازة الرسل وهو منافٍ لتعليم الكنيسة الجامعة الذي هو وحده حجة في
مثل هذه المسائل . ثم لا أظن ان هؤلاء البروتستنت ينكرون الجزاء
الذاتي لكنهم يحصرون استحقاقه فيما يسمونه « الايمان » وقد عجزوا عن
تحديده . وعلى كل حال فانهم تركوا الآن رأيهم هذا جانباً وأخذوا
يقولون بوجوب الاعمال الصالحة كباقي المسيحيين وفقاً لتعليم الرسل مثل
كلام مار يعقوب القائل في رسالته (٢ : ١٤ - ١٧) :

« ما المنفعة يا اخوتي اذا قال أحد ان له ايماناً ولا أعمال له ؟ العَلَّ
الايان يستطيع ان يخلصه ؟ ... ان الايمان بغير الاعمال هو ميت في
ذاته » .

فالجزاء الذاتي للاستحقاق الذاتي عقيدة أساسية في الدين المسيحي .
وكيف التوفيق بينها وعقيدة الفداء ؟ لا يصعب الجواب على من فهم
معنى الفداء ومفعوله الجوهرى .

...

لا يعطينا الفداء من العمل والاجتهاد والجهاد في سبيل الله انما يولي عملنا
هذا جزءاً لم يكن ليطلع به . فانه يمنحنا — اذا أتمنا ارادة الله على
الارض — ان نتمتع يوماً بشهادته في السماء ونشارك بسعادته نفسها وهو
لعمري جزء يفوق كل تمنيات الطبيعة المخلوقة . لان الانسان — وكذا

قل عن الملاك — لا يمكنه اذا بقي في حالته الطبيعية . وهي حالة عبودية بالنسبة الى الله خالقه وربّه — ان يتمنى جزاء على طاعته لله سوى سعادة طبيعية كالتي نحن اليها ونذوقها احياناً على الارض في ساعات راحتنا وهنائنا . واما مشاهدة الله والسعادة التابعة لها فهما من حظ ابناء الله وهذا هو الحظ الذي استحقه لنا السيد المسيح اذ افتدانا . فترى ان الفداء لا يمس شيئاً من واجبات الاستحقاق الذاتي بل يجعلها بالعكس أوسع نطاقاً واشدّ إلزاماً .

واليك الآن تفصيل ايماننا بالفداء نلخصه بسلسلة قضايا لا يصعب فهمها :

١ نوؤمن ان الله خلق اباينا الاولين وتبنّاها ونسلها . اعني انه لم يتركها في حالتهما الطبيعية اي حالة العبيد بل رفعهما — وايانا — الى حالة فائقة الطبيعة وهي حالة ابناء الله . ولذلك حلّى نفسها بمواهب الروح القدس التي نسمي مجموعها « النعمة » للدلالة على انها مجانية وانها تولي الانسان الحاصل عليها حظوة في عين الرب اذ انها تجعله ساجداً به تعالى كالابن بأبيه بقدر ما يمكن ان يكون الانسان شيئاً بمخالقه . وبقوة هذه النعمة يتمكن الانسان ان يأتي اعمال قداسة تؤهله للاشتراك يوماً بسعادة الله بالذات .

ففي هذه الحالة السامية والفائقة كل مقتضيات الطبيعة البشرية بل الملائكية خلق الله آدم وحواء ووعدهما ان ينقلهما — ونسلهما ايضاً — الى مقرّ سعادته في السماء بلا موت بشرط ان يثبتا على طاعته .

٢ نوْمن ثانياً ان ابويناً باغراء الشيطان خالفا وصية الله — وكان قد نههما عن الاكل من ثمار شجرة من اشجار الفردوس الذي وضعها فيه — وبخالفتهما لوصيته تعالى فقد اذنت لهما **البفرة** وكل ما يلحقها من العطايا المجانية الفائقة الطبيعة فاصبحت عرضة للموت والعذاب وحُرما حق التمتع بمشاهدة الله وسعادته بعد الموت .

وقد اصابتهما هذه الخسارة التي لا تُقدَّر ذريتهما ايضاً . فنولّد نحن محرومين من نعمة التّبني وسعادتها . وما مثلنا في ذلك الا كمثل ملك تبني رجلاً وامراته من عبيده وجعلهما في قصره ووعدهما ان يتبني ايضاً ابناهما بشرط ان يستمرّا على طاعته والاّ طردهما من وجهه . ولما لم يحفظا له عهد الامانة اخرجهما من قصره فعادا الى حالتها الاولى ولكن بوصمة التمرد والعصيان . فمن يلوم الملك على عمله ؟ كان عمله عادلاً لا غبار عليه . فكم بالحري يجب ان نقّدر عمل الله عزّ وجلّ وتصرفه مع ابويناً وذريتهما !

٣ نوْمن ثالثاً ان الله كان قادراً ان يترك الجنس البشري في هذه الحالة التاعسة حالة العبوديّة تحت سيطرة الشيطان . غير انه من فرط جوده ورحمته لم يشأ ان يبقى الانسان فيها فوعد ابويناً اذ طردهما من الفردوس ان يرسل اليهما **مخلصاً** من نسلهما يفدي الجنس البشري ويُزيل سقطته ويُعيد اليه **نعمة التّبني** وسعادتها . ولكنه حكم عليهما وعلى ابنائهما بالموت الذي كان قد اعفاهما منه . وبالشقاء والافواج في هذه الدنيا ليستحقا الجزاء الابدي بصبرهما .

٤ نعرف ايضاً من الايمان ان الله كان بوسعه الا يطلب من الجنس

البشري تعويضاً عن خطيئته حتى يردّه يوماً الى حالته الاولى . فلم يشأ بل اراد ان تقدم له تكفيراً يليق به . ومن يجسر ويسأله سبب حكمه هذا ؟

وهذا التكفير قد كان بإمكانه تعالى ان يطلبه جزئياً بقدر طاقة البشر غير انه في سامي حكمته وعدله أبقى ألا ان يكون التعويض كاملاً **وبقدر الإساءة** التي ارتكبها الانسان نحو ربه . وهو في كل ذلك حرّ ليس لاحد ان يطالبه بالشروط التي يضعها لعطاياه الفائقة .

ولكن من اين للبشر ان يقدموا له تكفيراً مساوياً لخطيئتهم ؟ ان خطيئته واحدة **بأنظر الى مهول الله الغير المتأهلي** هي إهانة له **غير متاهية** . ذلك لان الإساءة تعظم بقدر عظمة الشخص المهان فأن يُهان شخص حقير أيسر من ان يُهان شخص رفيع الشأن . وإهانة رجل عظيم أخفّ من إهانة مثلها لملك جليل . وما هي إهانة اعظم ملوك الارض بالنسبة الى إهانة ربّ السماوت والارض ؟ هذه — كما قلنا — **غير متاهية** تفوق كل ما يمكننا ان نتصوره .

ومن جهة اخرى ما هي قيمة أعمال البشر — بل كل المخلوقات معاً — مهما تسامت ؟ انها **محدودة** فلا تقوى على التعويض عن الإهانة التي ارتكبوها ضدّ البارئ تعالى . فما العمل ؟ ليس بطاقتنا ان نجد الحلّ لهذا المشكل الذي لا حلّ طبيعياً له . فتنازل الله وأوجده وأوحى به .

° وهذا الحل هو ان ابن الله الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس تجسّد وصار انساناً من ذرية آدم وهو باقٍ الهاً كما كان . فبما انه ابن آدم ومُثل

لكل ذريته كان قادرا ان يتواضع امام ابيه ويقدم له تكفيرا عن خطايانا . وبما انه اله فكل عمل تكفير يأتيه له قيمة **غير متناهية** لان الاعمال بقدر منزلة صاحبها . وان منزلة ابن الله المتجسد لا حد لسموها فقيمة عمل واحد من أعماله واستحقاقه **غير متناهية** . فهو قادر اذا ان يكفر عن خطايانا تكفيرا لا يساوي فقط بل يفوق اهانتنا لله .

٦ وما هو هذا التكفير ؟ نعرف مما تقدم ان ابن الله كان قادرا ان يكفر عن خطايانا ويستحق لنا نعمة التبري بعمل واحد مثلاً بصلاة يتوسل بها الى ابيه ان يصفح عنا ويعيد الينا حقوق البنوة . ولكنه لم يشأ ان يكتفي بذلك بل اراد ان يعلق خلاصنا على احتمال آلام مريعة والموت على الصليب . وسرى سبب ذلك .

٧ ولا تسري هذه الاستحقاقات الالهية على الفور بعد موت المخلص الى كل انسان بحيث يصبح حالا ابن الله وشريكاً للابن الوحيد بميراثه السماوي . انه لا بد من **تخصيص** هذه الاستحقاقات بكل واحد منا ليستفيد منها . فهي كبحر مياه صافية لا حد لها فانها لا تروي العطاش الا اذا اقبلوا اليها واستقوا من زلالها . وكذلك لا يعفينا الفداء من الاستحقاق **الذاتي** والاجتهاد المتواصل **لتخصيص** بنا استحقاقات الفادي الغير المتناهية بحسب الشروط الاساسية التي وضعها . وما هي هذه الشروط ؟

٨ يعلمنا الوحي المسيحي انه لا بد لنا ان نولد ثانية من الماء

والروح القدس (يوحنا ٣ : ٥) بالعماد لنحصل على حياة بني الله الفائقة كل قوى الطبيعة .

كان العماد مستعملاً عند اليهود « كطقس » ديني غايته تحريك عواطف الندامة والتوبة لنيل مغفرة الخطايا وهو قديم جداً عندهم . وانما نرى في الانجيل (مثلاً في متى ٣) كيف كان يوحنا الصابغ يستعمله ليحمل الناس على التوبة ويُعدّهم لمجيء المسيح . فهذا العماد قدّسه السيّد المسيح وأولاه قوّة فائقة الطبيعة **لنحْص** المعتمد باستحقاقاته ويجعله « ابن الله » . غير ان هنا فرقاً بين الطفل الذي لم يبلغ بعد سنّ التمييز والانسان الذي اصبح يميّز بين الخير والشر .

امّا **الطفل** فلا يُطلب منه او بالحري من والديه سوى العماد لانه عاجز عن الاستحقاق الذاتي . فاذا مات وهو طفل معتمد فانه باستحقاقات المسيح ينال الحياة الابدية اعني مشاهدة الله وسعاده . وإن مات الطفل — ايّاً كان — ولم يُعمّد فانه يُجرّم من مشاهدة الله في السماء اذ انه لم يصبح ابنه . غير انه لا يهلك في جهنم لانه لم يرتكب خطيئة فعليّة بل يحظى بسعادة طبيعية كالتي يتمتّنها الانسان في هذه الدنيا . ولا حرج على الباري تعالى في الفرق بعاملة الطفل المعتمد والطفل الغير المعتمد لان العماد وحقوق البنوة الالهية التي يوليها ليست سوى **نعمة مجّانية** يعطيها الرب كل انسان اذا تمّم الشروط التي وضعها . ولما كان الطفل عاجزاً عن تسميتها فالمسؤول عنه والداه فاذا اهملا هذا الواجب سواء عرفاه او لم يعرفاه حرّما الطفل من مشاهدة الله . وعلى كل حال فان الله ليس بظالم اذا لم يمنح ما لا يقتضيه العدل الالهي .

وأما البالغ فعليه . مع العباد اذا امكنه الحصول عليه ان يؤمن بالله
ويحبه ويحفظ وصاياه وآلا هلك الى الابد . فلا يفيد الفداء بل يكون
له سبباً لعقاب أصرم في جهنم . فتدري انه ما من انسان اذا بلغ سن التمييز
مُعفى من العمل الذاتي يستحق الجزاء الذاتي الذي اكتسبه له
السيد المسيح بالآلام وموته .

٩ من كل ما سبق تتضح لك صفة الواسطة التي ينسبها مار
بولس (١ تيمو ٢ : ٥) الى السيد المسيح فانه بعمل الفداء كان وسيطاً بين
الله والبشر اذ « صالحنا » مع ابيه السماوي .

في حالة البرارة — قبل سقوط ابويننا — لم يكن الانسان محتاجاً الى
وسيط بينه وبين الله لانه كان متحداً به تعالى مباشرة يحب الله والله يحبه .
ولكن الخطيئة فسخت عقد هذه الصداقة الثمينة « فتوسط » الابن
الحبيب وصالحنا مع ابيه بدمه . وليس هناك « وسيط » آخر لان الواسطة
تقتضي انساناً هو في الوقت نفسه اله اعني الهاً متجسداً والاله المتجسد
واحد . منه وبه الخلاص . وهو يسوع المسيح .

هذا الوسيط هو ايضاً كاهن اعظم (عبر ٤ و ١٠) لان
المسيح أتم فعل الواسطة بتقدمة جسده ذبيحة عن خطايانا . وكان في
الوقت نفسه ذبيحاً ولذلك يستيه الانجيل « حمل الله » (يوحنا ١)^(١).

(١) وللمسيح صفة أخرى ناتجة عن « واسطته » فهو « نبي » بأعلى معاني
الكلمة لأنه اثنان من عند ابيه بكل الحقائق الخلاصة التي اوحاها اليها . فهو

قد انتهينا من عرض معتقدا بسرّ الفداء وقد تخصّصناه بعدّة قضايا سهلة المنال يستطيع القارئ ان يفهم كل واحدة منها على حدة ويقابل بعضها ببعض . والان نسأل حضرة المعارض صاحب سيرة محمد المذكور : أما اتّضح لك انه لا تناقض البتة بين فكرة الافتداء وفكرة الجراء الذاتي وانه لا حاجة الى « محاولات منطقية » للتوفيق بينهما . وان المنطق المسيحي — لو جاز لنا ان ننتع المنطق بأنه مسيحي او اسلامي — ليس دون المنطق الاسلامي قوّة ودقّة . لقد اتينا بسلسلة قضايا بسطنا فيها حقائق ايماننا بالفداء . فاية حقيقة طبيعية او علمية او فلسفية أو أخلاقية خالفناها أو جعلناها ظهرياً ؟ وهل وقع تناقض ما في اقوالنا بين قضية وقضية ؟ فاعتراض حضرته هو اذاً باطل .

ان فيما اوردناه الكفاية للغرض الذي توخّيناه ومع ذلك لا بأس من ذكر اعتراض يستعصبه كثيرون من الخارجين عن الدين المسيحي لجهلهم

معلّمنا وراعينا وهادينا .

هو ايضاً ملك بل ملك الملوك . ولا عجب لانه « ابن الله » وبالتالي سيّد وربّ الكل وبنوع أخصّ « سيّد البشر » لأنّه اشترام وافتداه من عبودية الشيطان . وهذه السلطة الملوكية ستظهر بكل ابتهتها في اليوم الأخير اذ يأتي ثانية ليمدين العالم ويمجّزي كل واحد بحسب اعماله . اما في هذه الدنيا فلا يستعمل سوى سلطانة الروحاني لتقديس النفوس ورعايتها وتبليغها الغاية التي مات لاجلها ولذلك لما سأله ييلاطس هل هو ملك أجابه « ان مملكتي ليست من هذا العالم » (يوحنا ١٨ : ٣٦) ومن كون يسوع « كاهناً » « ونبياً » « وملكاً » لُقّب « بالمسيح » لأن الكهنة والانبياء والملوك في العهد القديم كانوا يُسبحون بالزيت . واما اسم « يسوع » فانه يدلّ خصوصاً على عمله الالهي الاعظم وهو خلاص شعبه لان معنى هذا الاسم العبراني هو « الله يخلص » (متى ١ : ٢١) .

حقائق ايماننا^(١) .

« تقولون ايها المسيحيون ان المسيح الاله في كل عمل يأتيه استحقاق غير متناهٍ للتعويض عن كل خطايا العالم بل عن كل الخطايا الممكنة . فلماذا احتمل اذاً كل هذه العذابات الهائلة التي تروونها والموت على الصليب ؟ اما ترون انكم تنسبون الى الله الرحوم قسوةً فائقة بل ظلماً لا يُطاق ؟ هذا تناقض بين معتقدكم بين جود الله الغير المتناهي ومعاملته القاسية لابنه الحبيب البار » .

لا يصعب الجواب .

قبل كل شيء يجب ان تنتبه الى أمر جوهري في غاية الأهمية وهو ان الله لم **يفصب** ابنه الحبيب على احتمال ما تكبده من الآلام والموت

(١) لا حاجة الى تفنيد اعتراض من يقول : « كيف يمكن المسيح ان يتألم وهو ابن الله على ما تزعمون ايها المسيحيون » ؟ لانه سبق وبيناً بطلانه في كلامنا على حياة المسيح البشرية اذ ذكرنا ان الطبيعة البشرية تعمل كل اعمالها كما تعملها فينا فاحتمل كما تتألم وتموت كما تتألم نحن وتموت ولا مساس لذلك بالطبيعة الالهية غير ان اعمال الطبيعة البشرية تُنسب دائماً كما قلنا الى الشخص والشخص هنا هو ابن الله .

كذلك لا يلزمنا تكرار اعتراض من لا يعتبر لائقاً بابن الله ان يتألم ويحمل كل ما احتمله من الاهانات والعذابات ثم الموت على الصليب . قلنا : ليس ذلك تذلاً بل تنازلاً « عجباً » . لان الألم بحد ذاته ليس شراً بمصر المعنى كمتخالفه وصية من وصايا الله انما هو في حالتنا الحاضرة نقص طبيعي في طبيعتنا البشرية ولذلك جاز لابن الله لدى اتخاذ طبيعتنا ان يتخذها بكل ما فيها من النقصان الطبيعي المنزه عن كل خطيئة ولقد تنازل واتخذ آلامنا حتى يرفعها عنا في الآخرة وقد اكتسب بذلك مجداً لا مثيل له مدى الأبدية .

على الصليب بل ان السيد المسيح تقدم الى الذبح بملء اختياره وحرّيته وقد برهن على ذلك بكلامه وتصرفه . قال (يوحنا ١٠ : ١١ - ١٨) :

« انا الراعي الصالح . . . ابذل نفسي عن الخرفان . . . من أجل هذا يحبني الآب لاني ابذل نفسي لأخذها ايضاً (بالقيامة من الموت) ليس احد يأخذها مني ولكني ابذلها باختيارى . ولي سلطان ان ابذلها ولي سلطان ان آخذها ايضاً . هذه الوصية قبلتها من ابي » .

وقد اتبع القول العمل . فسمح هذا الراعي الصالح لاعدائه ان يسكوه ويتهموه تهماً شنيعة باطلة لم يفتح فاه ليفندّها حتى تعجب الوالي الروماني . وما ذلك كله الا لانه اراد ان يموت . فهذه الملاحظة كافية بذاتها لدفع كل شبهة عن عدل الله وحبّه لابنه البار . ولكن الصعوبة باقية . فإنه اذا كان عمل واحد صادر من المسيح — وهو الاله المتجسد — كافياً ليكفر عن كل الخطايا الممكنة فلائى سبب احتمل — وإن بملء اختياره كل هذه العذابات المريعة التي يذكرها الانجيل ؟ هنا سرّ محبة الله العجيب .

أجل ان عملاً واحداً يعملّه ابن الله كافٍ بذاته للتعويض عن اساءاتنا ولكي **يسقوا** لنا نعمة التّبني وكل المساعدات اللازمة للخلاص . غير ان هناك وجهة أخرى للمسألة لانه لا يتمّ الخلاص **فعل** بان **يسقوا** الرب لنا ولكن **بقبولنا له بحرية تامّة** لأن الله لا يغضب احداً على اقام ارادته واكتساب مرضاته . فلا بدّ اذاً من ان يعمل الانسان بحريّته ليُجازى بعد الموت خيراً إن اطاع الله وشرّاً إن عصاه . تلك حقيقة أساسية في الدين

المسيحي وقد اوحاها الله لبني اسرائيل ايضاً . فقد ورد في سفر ابن سيراخ (١٥ : ١٤) وهو عندنا كما عند اليهود من الكتب المذلة :

« صنع (الله) الانسان في البدن . وتركه في بر اختياره . و اضاف الى ذلك وصاياه واورامه . فإن سئلت حفظت وصاياه ووفيت مرضاته . وعرض لك النار والماء . فتمد يدك الى ما سئلت . الحياة والموت امام الانسان فما العجب . يعطى له . » .

فسياسة الرب في عمل خلاصنا بعد ان استحق لنا ابنه حقوق البنوية وجزاءها الاخير هي ان يسعى لتخصيص استحقاقات الفداء بنا وتحقيقه فعلاً **دونه** انه **ممس** **مهربنا** . ولذلك لا بد له من تحريك ارادتنا الحرة **لبسبيلها** **ولا بفصلها** . وما السبيل الى ذلك ؟

رأى الله في سامي حكمته — وهذا امر طبيعي — ان السبيل الى جذب ارادة الانسان الى طاعته هو ان يحرك فيها **محبة** . لان المحبة قادرة على استمالة الارادة الحرة وحملها على طاعة المحبوب مهما كلفها ذلك من المشاق « فان المحبة قوية كالموت » (النشيد ٨ : ٦) . وعليه احبنا الله هو الاول . ولولا ذلك لما كنا نستطيع ان نحب . « واحبنا الى الغاية » (يوحنا ١٣ : ١) . وبرهن عن فرط حبه لنا بأن « بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به » (يوحنا ١٦ : ٤) .

وهكذا احبنا ابنه ايضاً وبذل نفسه عنا . قال القديس ايريناوس اسقف ليون في منتصف الجيل الثاني وهو المعلم العلامة الشهيد :

« من فرط حبه لنا صار كما نحن حتى يصيرنا كما هو » .

وفي الواقع ان للصليب صوتاً لا يمكن من كان شريف النفس او بالاقل من كان ذا ضمير حي ان يصم الآذان عن سماعه . هذا الصوت يصرخ منادياً بحب الرب يسوع لنا « احبني وبذل نفسه عني » كما قال بولس (غلاط ٢: ٢٠) . فعندما ارى سيدي وربي مسمرّاً على الصليب معذباً مشبّعاً اهانةً واحتقاراً لاجلي حتى ينتشلي من هوة الهلاك الابدي ويجعلني اخاً له ووارثاً معه في ملكوته السماوي بعد ان كنت عبداً اثيماً معادياً لابييه وله كيف يمكنني ان اشك في حبه وكيف يمكنني ان لا أحبه بكل قواي واحفظ وصاياه ؟

وقد سمع هذا الصوت ملايين من القديسين والمسيحيين المتقياء واجابوا بحب لا مثيل له حملهم على مباشرة اعظم الاعمال البارة حتى ضحّوا باموالهم وانفسهم وسفكوا دماءهم حباً بالله والقريب . ويا ليت بوسعنا ان نذكر تفاصيل هذه الاعمال اذاً للزمن كتابه المجلدات الضخمة^(١) . حسبنا ان نذكر من هو مقدمهم ومثالهم القديس بولس الرسول فانه في رسالته الى اهل رومة (٨: ٢٩-٣٩) بعد ما تأمل ما عمل المسيح حباً بنا صاح بصوت ملوّه الحب :

« من يفصلنا عن محبة المسيح ؟ اشدّة ام ضيق . ام جوع . ام عري . ام اضطهاد . أم سيف كما كتب (مزمر ٤٣: ٢٣) : انا من اجلك تُغاث النهار كله وقد حسبنا مثل غنم للذبح ؟ لكننا في هذه كلها تغلب بالذي

(١) قد وُضعت هذه المؤلفات الضخمة في سير القديسين الذين تكرمهم الكنيسة « رسمياً » وأما تواريخ الأبرار الذين لا نعيدهم عيداً فهي اكثر من ان تُحصى .

أحبنا . فاني لوائق بانه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رئاسات ولا قوَّات ولا اشياء حاضرة ولا مستقبله ولا علو ولا عمق ولا خلق آخر يقدر ان يفصلنا عن محبة الله التي هي في المسيح يسوع ربنا .

هذا جواب ذاك الرجل العظيم . وقد برهن^١ عملاً ان حبه للمسيح كان صادقاً تشهد له الاعمال الباهرة وما تكبده من الاتعاب والاسفار والاضطهادات حتى الموت ليسحق الوثنية وينشر عبادة الاله الحقيقي شرقاً وغرباً .

وهذا كان ايضاً جواب باقي القديسين : فيا لحكمة الله في سياسته

الحلوة !

...

ولعل الحب الالهي لا يؤثر في الكل التأثير الفائق الذي وصفناه فان

(١) ذكر شيئاً في رسالته الثانية الى اهل كورنتس عما تكبده في سبيل خدمته للمسيح (٢ كور : ١١ : ٢٤-٢١) قال : « جلدني اليهود خمس مرّات اربعين جلدة الآ واحدة . ضربت بالعصي ثلاث مرّات . ورُجمت مرّة وانكسرت بي السفينة ثلاث مرّات وقضيت ليلاً ونهاراً في عمق البحر . وكنت في الأسفار مرّات كثيرة وفي أخطار السيول وفي أخطار اللصوص وفي أخطار من أمّتي وأخطار من الاثم وأخطار في المدينة وأخطار في البريّة وأخطار في البحر وأخطار بين الإخوة الكذبة . وفي التعب والكد والاسهار الكثيرة والجوع والعطش والاصوام العديدة والبرد والعري . وما عدا هذه التي هي من خارج ما يتفاهم عليّ كل يوم من تدابير الامور ومن الاهتمام بجميع الكنائس . فمن يضعف ولا يضعف انا ؟ او من يشكك ولا أحترق أنا . . . وقد علم الله ابو ربنا يسوع المسيح المبارك الى الأبد أنّي لا اكذب . . . »

هذه صفحة من اخبار هذا الرجل العظيم تدلي بما احتمله حباً بالمسيح وخير

الانفس .

الصليب يُسمعنا مع صوت الحب - اذ لا بد ان نحب الله لنخلص -
صوتاً آخر وهو صوت العمل الالهي . وهذا الصوت يثير في النفوس
خوفاً مقدساً يردعها عن الخطيئة ويحملها على تتيم ارادة الله لتحظى
بسعادته السماوية .

عندما اتأمل المصلوب وما قاساه من الازجاء والاهانات وهو صامت
- كأنه يعترف بأنه اهل لها - يتضح لي حالاً جسامه الخطيئة وقبحاتها
وما تستحقه من العقاب لانه اذا كان العدل الالهي لم يستنكف من
ملاحقتها والاقتصاص منها في شخص ابنه الحبيب البار وان كان حاملاً
فقط عبء التكفير عنها فما عسى ان تكون فظاعتها وخباثتها وشر
مرتكبها ؟ يجوز للخطي ان يعلل النفس بان الله لا ينتقم من خطيئته ؟
لما كان السيد المسيح حاملاً صليبه وذاهباً الى الموت كانت نساء عديدات
يتبعنه باكيات (لوقا ٢٣ : ٢٨) فالتفت اليهن وقال :

« يا بنات اورشليم لا تبكين علي بل ابكين على انفسكن وعلى
بنيككن . . . لانهم ان كانوا صنعوا هذا بالعود الرطب فماذا يكون
باليابس . »

مغزى هذه الكلمات ظاهر . اذا كان البار الحامل عبء التكفير
عن خطيئة لم يرتكبها يُعامل هذه المعاملة فكيف يعامل صاحبها ان لم
يُثب ؟ أفينجو من العقاب وعقاب يفوق بهوله آلام المسيح ؟ لا لعمرى فلا
يطمئن برحمة الله ليزيد خطيئة على خطيئة ويهمل التوبة . فان الله رحوم
ولكنه عادل ايضاً وعدله كرحمته غير متناه . هذا هو الصوت الثاني الذي
يُسمعه الصليب وما من أحد - ان لم يفقد كل احساس - ألا ويفهمه .

وهذا الخوف الذي يحركه في القلوب الفاترة مرأى المسيح معذباً لاجلنا لا يمكن ان يكون ألاّ مزوجاً بشيء من الحب له ولذلك هو خوف مقدس يساعد النفس بل يحملها على طاعة الله .

فترى كيف يثير المصلوب أقوى عاملين في قلوب البشر الحب الخالص لله والخوف المقدس من عدله الالهي وكيف يحرك هذان العاملان النفوس المخلصة لله ويرفعها حتى تتحد به تعالى وتستفيد من خلاصه .

...

وزد على ذلك ان الصليب كتاب مفتوح يقرأ فيه المؤمن في كل ساعة - وان كان أمياً جاهلاً - أجمل واسمى آيات الفضائل التي عليه ان يارسها . يقرأ الطاعة لله حتى الموت والتفاني في حب القريب وخدمة البائسين والتجرد من حب الدنيا مع الصبر الجميل والاتكال على رحمة الله والتسليم لإرادته في كل شيء . . . بكلمة : هو كتاب القداسة واسماها بل ايضاً كتاب التعزية لان الصليب يجعلنا مشاهدين لابن الوحيد وشركاه يوماً في مجده السماوي .

ولقد قرأ هذا الكتاب الملايين من الشهداء الذين فضلوا العذاب وأشنع المיתات على مخالفة ولو وصية من وصايا الله . ولم يكن في الاجيال الثلاثة الاولى عصر الاضطهاد منيع آخر استقى منه الملايين من الوثنيين المتنصرين مياه الحق والشجاعة حتى يتبعوا المسيح ويموتوا لاجله .

لقد قرأ هذا الكتاب كل القديسين العظام - وعددهم لا يحصى - الذين يشهد بقداستهم حتى الخارجون عن ديننا . ومنه تعلموا ممارسة فضائلهم ومنه اتخذوا القوة ليعملوا بها . ولا يزال هذا الكتاب موضوع تأمل كل المسيحيين وإعجابهم في كل آن ومكان . نرى مفاعيل تعاليمه

كل يوم حتى بين الشعوب التي كانت بالامس في عداد المتوحشين فلا عجب اذا كان بولس — وبعده كل القديسين والانبياء — يهتف والقلب مملوء حباً واعجاباً (غلاطية ٦ : ١٤) :

« حاشى لي ان افتخر ألا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به صُلب العالم لي وانا صُلبت للعالم » .

واني لا تعجب واحزن من كراهة المسلمين للصليب مع انه عنوان الفضائل كلها واسماها . فهَبْهم لا يؤمنون بسرّ الفداء وموت المسيح على الصليب ليخلص العالم فلا يسعهم ان لا يعتبروه بالاقل رمزاً لا عظم حب صدر من قلب انسان لآخوته فأدى به الى التضحية بكل غالٍ ونفيس في سبيل سعادتهم .

افلا يجدر بكل انسان وان كان مسلماً ان ينحني امامه معجباً بما يشخصه من آيات الشهامة والقداسة التي لا مثيل لها على الارض .
والآن اما يجوز لنا ان نقول : لقد نجحت سياسة الله عزّ وجلّ في اختياره الصليب لعمل خلاصنا ؟ فسبحان من بحكمته الفائقة كشف لنا عن هذا السرّ العظيم وقدرنا بنعمته على الانتفاع من الفداء دون ان يمسّ حريتنا !

هذه فلسفة ايماننا المسيحي واعتقادنا بالثالوث الاقدس والتجسد والفداء . فهل وجدت في كل ما عرضناه عليك اثراً للتناقض والمخالفة لقاعدة منطقية او حقيقة من الحقائق العلمية الراهنة التاريخية او الطبيعية ؟
أفما ظهرت لك صورة الله عزّ وجلّ جميلة رائعة البهاء ؟ هل نقص من اسارير وجهه الالهى شيء مما تعرفه عن صفات الله كوحده وقدرته

وحكمته وعدله ورحمته ولطفه وسائر ما يكتشفه العقل البشري ؟ هل يشوّهها شيء . ممّا نقلناه عن تجسّد المسيح وسفك دمه لفدائنا ؟ لعمري ان تسلسل تلك القضايا الايمانية العديدة التي ذكرناها ودقّة ائتلافها ممّا يشعر انها ليست من اختراع البشر بل تعاليم سواوية . ومع ذلك نكرّر ما قلناه غير مرّة : ليس هذا ركن اعتقادنا الثابت بهذه الاسرار الثلاثة . انما هو صحة وفوق الوصي بها . واننا نبرهن عنه بالمستندات التاريخية الاكيدة كما نبرهن عن باقي الحوادث التي يرويها التاريخ الصحيح .



الخلاصة

يحسن بنا في الختام ان نلخص معتقدنا بالثالوث والتجسد والفداء .
 ١ نؤمن ان الله واحد . وهذا الاله الواحد هو آب وابن وروح قدس
 ثلاثة اقانيم او اشخاص لا يتميز واحد منهم عن الآخر الا بالاضافة او النسبة .

اي ان الابن هو من الآب . والروح القدس من الآب والابن . والآب ليس
 من أحد . فما ابعد هذه الحقيقة عما ينسبه اليها المسلمون من ان التثليث
 عبارة عن الله والمسيح والعدراء . او قلنا ايضاً ان القرآن لا ينفي هذه القضية
 كما انه لا يثبتها وعليه ليس التثليث معثرة في سبيل المسلم المؤمن اذا احب
 التقرب من المسيحي .

٢ نؤمن ان الاقنوم الثاني — وهو الله الابن — اتخذ في أحشاء
 العدراء مريم بلا زرع بشري جسداً ونفساً كجسدنا ونفسنا وصار هكذا
 انساناً . فهو اذاً شخص واحد الهي بطبيعتين الهية وبشرية . وهذه العقيدة
 مخالفة ايضاً لما ينسبه اليها المسلمون فاننا لا نؤله انساناً . ان ذلك كفر .
 انما نعبد الاله الحقيقي الواحد — الاقنوم الثاني — **صالحاً** ^(١) . وهذا واجب
 اذا صح وقوع التجسد .

٣ نؤمن ان هذا الاله المتجسد كفر بموته على الصليب عن خطيئة

(١) وهل ينفي القرآن صريحاً التجسد ؟ ان هذه الفكرة غريبة عنه على
 رأينا .

آدم ابينا الاول . فأصبح جزاؤنا - إن أطعنا الله وحفظنا وصاياه - جزاء **فائز الطبيعة** وهو رؤية الله والتمتع بسعادته . وهذه القضية لا يعالجها القرآن وان كان ينفي موت المسيح في بعض آياته - فانها خارجة عن دائرة تعاليمه .

هذه هي الحقائق الثلاث الأساسية المبني عليها ايماننا المسيحي فيرى المسلم نقطة الخلاف بيننا وبينه . وهذه القضايا الثلاث لا يستطيع ان ينفيها إلا اذا برهن انها **غير صالحة** كما اننا لا نستطيع ان نثبتها إلا اذا برهنّا عن حقيقة **وهمها** لانها **تقوى** ادراك عقولنا .

واما **كيفية** اثباتها فالطريقة المثلى هي ان نبرهن أولاً ان السيد المسيح مرسل من عند الله والمسلمون يسمّون بهذه الحقيقة - وانه **هو** علمنا هذه الحقائق وتعليمه مُدوّن في الانجيل الاربعة و « أعمال الرسل » ورسائلهم وفي شهادة الكنيسة الاولى^١ - وسمّاها هرنّاك « الانجيل

(١) نذكر القارئ لا سيما المسلم ان المسيح لم يكتفِ بنشر تعاليمه تاركاً لكل انسان يسميها ان يحفظها ويعمل بها كيفما عن له . بل سلمها رسله الاثني عشر وجعلهم رؤساء مجتمع ديني بل دولة روحية جامعة هي « مملكة » وقد سمّاها « الكنيسة » وألزم كل اتباعه ان ينضمّوا اليها ويتلقنوا من رؤسائها لا سيما رئيسها الاعلى بطرس - وبالتالي من خلفائهم كل ما يجب اعتقاده وعمله للخلاص . وقد عصم كنيسته من الغلط في تعليمها حقائق الايمان ووعداها ان « ابواب الجحيم لن تقوى عليها » اي ان قوآت اعدائها لن تتغلب عليها وانها ستبقى كما أسسها الى منتهى الأجيال تعلم الحق وتقدس النفوس . كل هذا نقرأه في مستنداتنا الكتابية وشهادات الاولين .

الخامس « - فإذا أثبتنا صحة هذه المستندات استنتجنا حالاً ان الاسرار الثلاثة - وغيرها المتضمنة فيها هي حقائق موحدة يجب الايمان بها . وعلى كل حال فانه يتبين لكل عاقل منصف من مجرد بسطها ان الايمان بها يؤدي الى ممارسة أسمى الفضائل وأجملها اذ انها توجب على المسيحي - ان اراد ان يكون مسيحياً حقيقياً - ان يعيش كابن لله ويتخذ له المبدأ الذي اوصانا به المسيح :

« كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي كامل » (متى ٥ : ٤٨)

ويجعل امام عينيه المثال الفائق - وهو السيد المسيح القائل :

« من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني » (متى

١٦ - ٢٤)

وما من عاقل له المام بالتاريخ ينكر ما انتجته هذه المبادئ المقدسة من القداسة والاعمال الخيرية السامية .

نذيل مقالتنا هذه بالكلمة التي افترضناها بها . كان غرضنا الاول من كتابتها تبرئة الدين المسيحي من وصمة الشرك والكفر التي يلصقها به كثيرون من المسلمين لجهلهم حقيقة المعتقد المسيحي . والغرض الثاني - وهو تابع للاول - ان نبين للمسلم انه يمكنه ان يوافق اخاه المسيحي ويسعى وايّاه يداً واحدة لتأليف وطن واحد يكون الكل فيه متساوين بالحقوق والواجبات . فقد بينّا لهم انه لم يبقَ لهم حجة لرفض التعاون والإخاء فاننا جميعاً من مسيحيين ومسلمين واسرائيليين نوّمن بالاله الحقيقي الواحد ووصاياه العشر وهذا كافٍ على ما برهن العلامة الاجتماعي الشهير لوبله Le Play : لتشييد صرح الهيئة الاجتماعية على أساس متين .

بل هو الشرط الذي لا بدّ منه كما قال الله في المزامير (١٢٦ و ١٢٥)
 « إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون ان لم يحرس الرب
 المدينة فباطلاً يسهر الحارس »

وها أنا نرى اليوم بأمّ العين ما تؤول اليه حالة الشعوب من الخراب
 والاضطراب والظلم الفاحش عندما يحاولون ان يضعوا اساساً لمجتمعهم غير
 هذا الاساس . ولذلك يجب على كل المؤمنين بالله ان يضمّوا قواهم لمحاربة
 الاحاد الهادم لكل نظام اجتماعي .

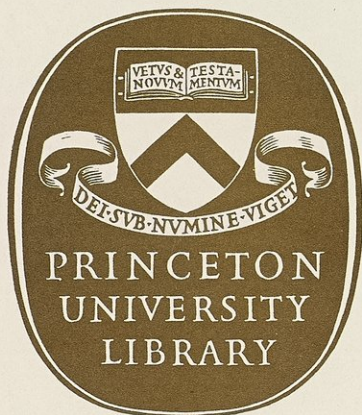
اتذكر ان المرحوم الاب لويس شيخو الشهير زارنا يوماً لما كنت في
 مصر القاهرة حوالي سنة ١٩١٠ وكان هنالك ايضاً صديقه المرحوم الشيخ
 طاهر الجزائري . فركبنا يوماً نحن الثلاثة عربة مكشوفة وذهبنا لبعض
 شؤوننا وطفنا كل شارع الموسكي الآهل بالسكان واكثرهم مسلمون .
 وناهيك من تعجبهم عند رؤيتهم هذه العمّة بين قبعتي كاهنين . ومما قاله
 لنا وقتئذ الشيخ طاهر هو « انه يجب علينا نحن المسلمين والمسيحيين ان
 نتحد معاً لنحارب الاحاد وقد اخذ هذا الداء يتفشى فيما بيننا » ، ونعم
 الفكرة . وانا نراها اليوم شائعة بين غير واحد من عقلاء المسلمين
 الدينيين . وما من مانع يحول دون العمل بها كما بينا . حقق الله هذه
 الامنية خير الوطن وسعاده !

فهرس

وجه

٣	توطئة : هل يجوز للمسلم ان يعتبر المسيحي مشركاً او كافراً . . .
٦	١ مقدمات : في العلم والايمان
١٢	٢ في سرّ الثالوث الاقدس
٣٢	٣ في سرّ التجسّد
٤٥	٤ سرّ الفداء
٦٦	الخلاصة





Princeton University Library



32101 075331601

JQ1850

.A322

1940Z

ADAD KHASS
BI-AL-AHZAB
AL-SIYASIYAH FI
AL-BILAD
AL-ARABIYAH

AP